تنبيه: هذه المادة لم يراجعها الشيخ حتى الآن

شرح

لمعة الإعتقاد

للعلامة الشيخ /عبد الله بن أحمد المقدسي رحمه الله

١٤١٦هـ

لفضيلة الشيخ / حمد بن عبدالله الحمد حفظه الله

تاريخ الإضافة / شوال / ١٤٣٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

لمعة الإعتقاد

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد :

فبين أيدينا كتاب للشيخ : الموفق عبد الله بن أحمد بن قُدامة المقدسي ، وهو شيخ المذهب وإمام أهل السنة في عصره – يرحمه الله – وهو من أعيان القرن السابع الهجري .

أسمى كتابه بـــ (لُمْعَة الاعتقاد) واللمعة : هي الطائفة القليلة من الشئ ، يقال : في الأرض لمعة من خــلاً أي من عشب أي طائفة قليلة من عشب .

فهذا الكتاب طائفة مختارة ، ونبذة مصطفاة من عقيدة أهل السنة والجماعة ، وعلى ذلك فالإضافة في قولنا " لمعة الاعتقاد " بتقدير (من) لأن الاعتقاد : هو جنس اللمُعة هنا أي لمعة ، وطائفة مختارة ، يسهل على الناس الإطلاع عليها ، ويسهل على طلاب العلم حفظها من عقيدة أهل السنة والجماعة .

والاعتقاد في اللغة : من العقد ، وهو ضد الحل أي هو الربط .

وفي الشرع : هو ما يعقد عليه المرء قلبه من حق أو باطل ويسمّى عقيدة .

وهذا الاعتقاد الذي جمعه لنا الموفق – رحمة الله – هو اعتقاد حق هادٍ إلى سبيل الرشاد ، فالعقيدة : هــي شيء في قلب الإنسان يجزم به علماً يقينياً .

والعقيدة الإسلامية : هي ما يعقد عليه المؤمن قلبه من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليــوم الآخــر والقدر خيره وشره .

قال الشيخ – رحمه الله – : (بسم الله الرحمن الرحيم . . .) :

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الموفق ابن قدامة : " ما دخل الشام بعد الأوزاعي أفقه منه " ا. هـــ .

وكان – رحمه الله – على هدي السلف اعتقاداً وعملاً ، أما الاعتقاد فهذا الكتاب وغيره من المصـنفات تشهد له ، وأما الحلية والعمل فقد قال بعض أهل العلم : " إنك إذا رأيت الموفق فكما لو رأيـت بعـض أصحاب النبي ﷺ كأن النور يخرج من وجهه رحمه الله " .

وشرع المؤلف بالبسملة اقتداءً بالكتاب العزيز، واقتداءً بالنبي ﷺ في كتبه ، فإنه كان يفتتح كتبه بالبسملة ، ومن ذلك كتابه إلى هرقل عظيم الروم – كما ثبت هذا في صحيح البخاري وغيره .

وأما الحديث المروي الذي فيه : " إن كل كلام لا يفتتح ببسم الله فهو أقطع " فهذا حديث لا يصح .

قال الشيخ – رحمه الله – : (الحمد لله المحمود بكل لسان ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١ ﴾)

قوله : " المحمود بكل لسان " : أي باللسان الحالي واللسان المقالي ، فإن من الناس من لا يحمد الله بلسـان مقاله ولكن لسان حاله يحمد الله تعالى فإن خلقه وتدبير الله له هذا يحمد الله تعالى .

قوله : " لا تمثله العقول بالتفكير " : فالعقول لا يمكن أن تصل إلى الله تعالى لا في ذاته ولا في صفاته تمثيلاً ، فلا يمكنها أن تعرف كنه صفات الله تعالى وذاته ، فالعقول لا تدركه سبحانه ولا تمثله بالتفكير والقلـوب أيضاً لا تصوره ﷻ – وهو ما يسمى بالخيال – وهو محذور شرعاً لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦ ﴾ سوره الإسراء:٣٦

قال الشيخ – رحمه الله – : (له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى . . . . في كتابه العظيم ، وعلى لسان نبيه الكريم ، وكل ما جاء في القران ، أو صح عن المصطفى ﷺ من صفات الرحمن ، وجب الإيمان به ، وتلقيه بالتسليم والقبول وترك التعرض له بالرد و التأويل ، والتشبيه ، والتمثيل) :

قوله : (أو صح عن النبي المصطفى ﷺ) : دليل على أن الاعتقاد لا يستفاد من الأحاديث الضعيفة فلا يؤخذ الاعتقاد منها بل حتى الأحكام ، وكذلك على الصحيح الترغيب والترهيب إلا من الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ .

وقوله : (وترك التعرض له بالرد والتأويل) : الرد يجوز أن يقابل بما ورد في الكتاب من آيات الصفات وما صحت به السنة من أحاديث الصفات فلا يجوز أن يقابل ذلك بالرد والتكذيب وهو كفر بالله تعالى .

والتأويل : مراد المؤلف به هنا هو التأويل الفاسد : وهو صرف اللفظ عن حقيقته إلى مجازه بلا دليل .

فإذا قال رجل : رأيت أسداً ، فالأسد على الحقيقة : هو الحيوان المعروف ، وعلى المجاز : هو الرجل الشجاع ، فإذا قلت : أراد بقوله : رأيت أسداً ، أراد أنه قد رأى رجلاً شجاعاً ، فنقول : هذا تأويل باطل ، لأنه لا قرينة فيه ولا دليل على إرادة المجاز فهذا تلاعب بكلام هذا القائل .

ولكن إن كان عنده دليل كما لو قال الرجل : رأيت أسداً حاملاً سيفه ، فيقول : القرينة هي قوله : حاملاً سيفه ، فهذا يدل على أن المراد هو الرجل الشجاع ، لأن الأسد الحيوان لا يحمل السيف .

وكذلك إذا أتى المفسر إلى قول النبي ﷺ في الدعوة إلى طعام قال : " وإن كان صائماً فليصل " فقال : المراد بالصلاة هنا الدعاء ، وهو معناها في اللغة ، وأما في لفظ الشارع : فهي الصلاة المعروفة ذات الركوع والسجود ، فنقول : السياق يدل على أن المراد : هو الدعاء لهم بالبركة ، ولأن الصلاة لا محل لها هنا ، فهذه قرينة على إرادة معنى الدعاء بالصلاة هنا فهذا تأويل صحيح .

وأما التأويل الفاسد : فهو أن تنقل اللفظ عن ظاهره إلى مجازه بلا دليل يدل على ذلك ، وهذا تلاعب بالنصوص ، وهو التأويل المحرم الذي أشار المؤلف هنا إلى النهي عنه .

وأما التشبيه والتمثيل فالفرق بينهما : أن التمثيل يكون من كل وجه بخلاف التشبيه .

فالتمثيل مساواة من كل وجه ، وأما التشبيه فإن التشابه لا يقتضي المساواة من كل وجه بل يكون بينهما تقارب من جهات كثيرة ولكن لا يصل إلى المساواة التامة ، فإذا قلت : فلان مثل فلان أي بينهما مساواة تامة ، وإذا قلت : فلان يشبه فلاناً فلا يقتضي ذلك المساواة التامة فهذا الفرق بينهما .

قال الشيخ – رحمه الله – : (**وما أشكل من ذلك وجب إثباته لفظاً ، وترك التعرض لمعناه ، ونرد علمه إلى قائله ، ونجعل عهدته على ناقله. . . .**) :

قوله : " وما أشكل من ذلك " : أي ما أشكل من هذا الباب على بعض الناس فنثبته لفظاً ونترك التعرض لمعناه ونرد علمه إلى قائله ونجعل عهدته على ناقله ، والقاعدة عند أهل السنة والجماعة : أن يرد المتشابه إلى المحكم .

والمحكم : هو ما اتضح معناه ، والمتشابه : ما لم يتضح معناه حتى يرد إلى غيره ، والمتشابه يحتمل أكثر من معنى ، وحينئذٍ نرده إلى ما يوضح معناه ، قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ ﴾ آل عمران : ٧

هن أم الكتاب : أي أصل وعمدة الكتاب الذي يرجع إليه ، قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾آل عمران :٧

فأهل الزيغ يتبعون المتشابه ويفسرونه على ما يشتهون ويؤلونه على أهوائهم ، وأما الموفقون فإنهم يردون المتشابه إلى المحكم .

قال الشيخ – رحمه الله – : (اتباعاً لطريق الراسخين في العلم . . . . بقوله سبحانه :﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾)

والتأويل الذي لا يعلمه إلا الله : هو كنه الصفات – وهذا من معاني التأويل فإن من معانيه حقيقة الشيء وكنهه ، فهذا التأويل لا يعلمه إلا الله فلا يعلم كيفية الصفات ولا كيفية كنهها ولا حقائقها إلا الله سبحانه وتعالى ، وأهل العلم يعلمون المعاني ويعلمون ما المراد بصفات الله تعالى ويعلمون ما المراد بالوجه واليد والسمع والبصر. . من حيث المعنى

وأما من حيث حقيقة الشيء وكيفيه الشيء فهذا لا يعلمه أحد إلا الله .

وإذا قيل : لك – وهذا للإيضاح وإلا فلله المثل الأعلى في صفاته وأسمائه – فإذا ذُكر لك شيء من الأشياء فأنت لا تدركه ولا تعيه وقيل لك : إنه يتكون من كذا وكذا . . . وذكرت لك صفات هذا الشيء فإذا قيل لك : له ، يد وأدركت معنى اليد ، ثم قيل لك : كيف هذه اليد ؟ فإنك تجيب بعدم العلم لأنك لم تر هذا الشيء حتى تدرك كيفيته

فكذلك صفات الله تعالى " ولله المثل الأعلى " ندرك معانيها ونفسرها ونوضحها ولكن الكيفية والكنه علم ذلك إلى الله سبحانه وتعالى .

قال الشيخ – رحمه الله – : (قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل. . . نؤمن بها، ونصدق بها، لا كيف ، ولا معنى) :

(لا كيف) : أي كيف معلوم لنا فنفي الكيف هنا بالنسبة إلى علم البشر ، وأما في الحقيقة والواقع فلها كيف ، ولكن البشر لا يحيطون به ، فلصفات الله تعالى كيفية وحقيقة وكنه ، ولكن معرفة كيفيتها مجهول لنا ، ولذا قال الإمام مالك : " والكيف غير معلوم " فهو غير معلوم لنا ولكنه ثابت في الواقع .

(ولا معنى) : أي ولا معنى يخالف ظاهرها هذا هو المعنى الذي ينفى لا المعنى المتبادر إلى الأذهان فإن هذا لا يحتاج إلى نفيه بل لا يصح نفيه ولكن المقصود ، ولا معنى مخالف للظاهر أي : لا تأويل فاسد ، فهذا هو

المراد بهذه الكلمة المتشابهة من كلام الإمام أحمد وتتبين بردها إلى كلام الإمام أحمد وكلام الموفق رحمهما الله في غير هذا الكتاب ليعلم ما المراد منها .

فمثال المعنى المنفي، لو قيل أن غضب الله هو إرادة الانتقام وإن الرحمة هي إرادة الإنعام و إن اليد هي القدرة فهذه معانٍ منفية لأنها معانٍ تخالف الظاهر .

قال الشيخ – رحمه الله – : (ولا نرد شيئاً منها، ونعلم أن ما جاء به الرسول حق ولا نرد على رسول الله ﷺ) :

وما ذكرناه في إيضاح المعنى المنفي ، هو مراد الموفق رحمه الله بدلالة كتبه الأخرى وبدلالة قوله في جملة سبقت " وبترك التعرض لمعناه " قاله فيما أشكل من ذلك فيترك التعرض لمعناه فدل على أن الأصل هو عدم ترك التعرض لمعناه .

وأفسد المذاهب في باب الصفات هو مذهب المفوضة الذين يقولون : بنفي المعاني المتبادرة فيقولون ليس لليد معنى " أي معنى متبادر " وليس للوجه معنى متبادر وجعلوا أسماء الله وصفاته كالطلاسم وكالكلمات الأعجمية التي لا يفقهها العرب .

قال الشيخ – رحمه الله – : (ولا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه ، بلا حدود ولا غاية) :

أي بلا حد يعرفه البشر فصفات الله ليس لها حد يعرفه البشر ، والبشر لا يحيطون بصفات الله علماً فليس لصفات الله حد ولا نهاية ، وسيأتي الكلام على الألفاظ المجملة كالحد والجهة والجسم. . . إن شاء الله .

قال الشيخ – رحمه الله – : (﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ ونقول كما قال ... ولا نتعدى القرآن والحديث ولا نعلم كيف كنه ذلك إلا بتصديق الرسول ﷺ وتثبيت القران) :

فأهل السنة لا يتأثرون بالكلمات التي يقولها أعداء أهل السنة للتنفير منهم قال تعالى: ﴿ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ سوره الروم :٦٠

ويلقبونهم بألقاب كالحشوية والمجسمة والمشبهة وغير ذلك من الألفاظ التي يصف بها أعداء أهل السنة أهل السنة فإنهم لا يتأثرون بها ولا يتركون مقالة الحق لمقالة السوء التي شنعت عليهم .

قال الشيخ – رحمه الله – : (قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي :آمنت بالله .. على مراد رسول الله)

قول الإمام الشافعي : هو من الإيمان المجمل بالصفات فيؤمن بما جاء عن الله على مراد الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله – هذا إيمان مجمل وله تفاصيل سيذكرها المؤلف في ضمن هذا الكتاب .

قال الشيخ – رحمة الله – : (وعلى هذا درج السلف، وأئمة الخلف. . . . من غير تعرض لتأويله) :

درج السلف : أي مضوا على الشيء ومشوا عليه .

" من غير تعرض لتأويله ": أي التأويل الفاسد الغير متبادر إلى الأذهان من الألفاظ الواردة من صفات الله تعالى .

قال الشيخ – رحمه الله – :(وقد أمرنا بالاقتفاء لآثارهم، والاهتداء بمنارهم . . . وكل بدعة ضلالة) :

روى الحديث الإمام أحمد وأبو داود والترمذي بسند صحيح .

قال الشيخ – رحمة الله – : (وقال عبد الله بن مسعود ﷺ : (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم) وقال عمر بن عبد العزيز (قف حيث وقف القوم . . . وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم) :

وفي كلامه – رحمه الله – بيان لوسطية أهل السنة والجماعة بين أهل الغلو والجفاء وبين أهل الإفراط والتفريط ، فأهل السنة وسط بين الفرق التي قد غلت وبين الفرق التي قد جفت .

وفي قوله : " فإنهم عند علم وقفوا وببصر نافذ كفوا " هذا إبطال لما ذهب إليه المبتدعة من الأشاعرة وغيرهم من إن مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أعلم وأحكم ، فإن السلف عن علم وقفوا لا عن جهل وببصر نافذ كفوا فهو عن حكمة فهم أعلم وأسلم وأحكم ، ومذهب غيرهم لا سلامة فيه ولا علم ولا حكمة .

قال الشيخ – رحمه الله – : (وقال الإمام أبو عمر الأوزاعي . . . . وقال محمد بن عبد الرحمن الأدرمي : " لا وسّع الله على من لم يسعه ما وسعهم . . . . فلا وسّع الله عليه ") :

محمد بن عبد الحمن الأدرمي الصواب بالذال المعجمة (الأذرمي) وهو صاحب كتاب " الحيدة " الذي جادل أحمد بن داود في مسألة خلق القران التي ابتلي بها إمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد رحمه الله .

فيقال لمن قال : الإستواء بمعنى الاستيلاء : هل علم الصحابة ﷺ على رأسهم الخلفاء الراشدون هل علموا هذا المعنى من الإستواء ؟ إن قال : لم يعلموا فإنه يقال : كيف علمت هذا وهم لم يعلموه مع أنهم أكمل منك علماً وهذا هو أعظم أبواب الدين أي باب الأسماء والصفات فإنه ينقطع ويقول : بل علموه ، فيقال :

فهل وسعهم السكوت أم أنهم تكلموا بذلك ؟ إن قال تكلموا به فيطالب بالنص الوارد عنهم وسيعجز عن ذلك ويقول : بل وسعهم السكوت عنها ، فيقال : إذا كان وسعهم السكوت وهم من هم في الحرص على البلاغ وإفادة الأمة أفلا يسعك ذلك – هذا هو بيان هذه الحجة التي أدلى بها هذا الشيخ مع أحمد بـــن أبي داود المعتزلي .

قال الشيخ – رحمه الله – : (فيما جاء من آيات الصفات قول الله ﷻ : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ ".

سيذكر المؤلف – رحمه الله – في هذا الفصل بعض آيات الصفات .

وليعلم أن الكلام في صفات الله تعالى يجب أن يكون مبنياً على ثلاثة أصول :

١– الأصل الأول : تنزيه الله تعالى من أن يُشبّه شيء من صفاته شيئاً من صفات المخلوقين ، قال تعالى:

٢– ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ سوره الشورى :١١

وقال تعالى : ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ ﴾ سوره النحل:٧٤ .

٢– الأصل الثاني : أن يؤمن بما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله عليه الصلاة والسلام ، فليس أحد أعلم بالله من الله ، قال تعالى : ﴿ أءنتم أعلم أم الله ﴾ وليس أحد أعلم بالله بعد الله من رسوله الله ﷺ . قال تعالى : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾. سوره النجم:٣ ، ٤

وقد جمع الله ﷻ بين هذين الأصلين في قوله ﷻ : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ سوره الشورى:١١ ، فقوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ ﴾ دليل على الأصـــل الأول ، وقولـــه : ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ دليل على الأصل الثاني .

٣– الأصل الثالث : قطع الطمع عن إدراك الكيفية ، قـــال تعـــالى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ سوره طـــه:١١

وقــــال : : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ سوره الإسراء:٣٦ .

إن قيل : ما الفرق بين التمثيل وبين التكييف ؟

الجواب : أن التمثيل مقيّد بالمماثل فهو الكلام في صفة من صفات الله تعالى يتكلم في حقيقتها وكنهها مقيداً ذلك بالمماثل كأن يقول : يد الله كأيدينا . . . . الخ ٠

وأما التكييف : فهو الكلام في كيفية الصفة من غير تقييد بمماثل كأن يقول : صفة اليد مثلاً كيت وكيت فيصفها وصفاً لا يقيده بمماثل ٠

وفي الأصل الثاني : إبطال للتأويل والتعطيل ٠

والتعطيل : هو نفي الصفات المستحقة لله ﷻ بدلالة الكتاب والسنة ٠

والتأويل : هو صرف اللفظ عن حقيقته إلى مجازه بلا دليل ، وهذا هو التأويل الفاسد المنفي ، وأما التأويل الصحيح فهو الذي يكون معه دليل ٠

والتأويل الفاسد يعتبر تحريفاً وهو من التلاعب بالنصوص ٠

والتأويل يلزم منه التعطيل فإذا أوّل الصفة فقد نفى الصفة وعطل الله منها ، فإذا أوّل الوجه فقد عطل الله من صفه الوجه وهكذا من أوّل اليد بالقدرة. . . الخ ٠

وهو يسمى تحريفاً ولا عكس فإن المعطل قد لا يؤول فإنه يقول : ليس لله وجه ولا يقول : أن المراد بالوجه الذات

فإذن يلزم من التأويل التعطيل ولا يلزم من التعطيل التأويل ، وهنا أورد الإمام – رحمه الله تعالى – بعض الآيات الدالة على صفات الله تعالى ومن ذلك : قوله تعالى : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾. سوره الرحمن:٢٧ .

فهذه الآية وغيرها من الآيات الدالة على صفة الوجه فيها إثبات صفه الوجه لله تعالى ، وعليه فنسير على الأصول الثلاثة السابقة ، فالله قد وصف نفسه بالوجه وليس أحد أعلم بالله ﷻ من الله : ﴿ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾ سوره البقرة:١٤٠ ولا نشبه صفة الله ﷻ بشيء من صفات الخلق فلا نقول : إن وجه الله يشبه وجه

المخلوقين تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا ، ولا نتصور كنه وكيفية ذلك في قلوبنا ولا نتخيله في أذهاننا ونقطع الطمع عن إدراك كيفية هذه الصفة .

وقال المؤولة : المراد بالوجه : الذات وهذا لعب بالنصوص ، وذلك لأن الوجه في لغة العرب معناه المتبادر منه هو الوجه الحقيقي فصرفه إلى معنى آخر محتمل لكنه مرجوح من غير دليل يدل على ذلك – هذا من باب التلاعب بالنصوص وهو من التأويل الباطل ، وهناك أوجه أخرى ليس هذا محل بسطها .

قال الشيخ – رحمه الله – : (**وقوله سبحانه وتعالى :**﴿ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ ﴾) :

هذه الآية فيها إثبات صفة اليد لله ﷻ وأنهما يدان كريمتان مبسوطتان بالعطاء ، وهما يدان تليقان بالله جل وعلا ونسير أيضاً على الأصول المتقدمة فنثبت هذه الصفة ولا نشبهها ولا نكيفها .

وقد ورد في القران ذكر صفة اليد على وجه الإفراد وعلى وجه التثنية وعلى وجه الجمع ، قال تعالى :

﴿ تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ ﴾ سوره الملك:١ فهذا إفراد ، وقال : ﴿ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ ﴾ سوره المائدة:٦٤ فهذا تثنية ، وقال : ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَـٰمًا فَهُمۡ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ سوره يّـس:٧١ .

فهذا جمع ، فكيف توفق بين هذه النصوص ؟!

نقول : إن المفرد إذا أضيف فإنه يفيد العموم كقوله تعالى : ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ ﴾ سوره النحل:١٨

أي نعم الله الكثيرة ، وأما الجمع فإنه للتعظيم – وعلى ذلك فتبقى التثنية لا ينافيها شيء ، فهذه الصفة ثابتة لله ﷻ على وجه التثنية .

وفي الصحيح أن النبي ﷺ قال : (يمين الله ملأى لا تغيضها النفقة " أي لا تنقصها " سحاء الليل والنهار. . . قال : وبيده الأخرى . . .) الحديث .

فلله تعالى يدان تليقان بجلاله لا تشبهان أيدي المخلوقين ، ولا يمكن للعقول أن تدرك حقيقتها ، ولا يمكن للقلوب أن تتصورها فإن الله ﷻ أعظم من أن تتصور القلوب ذاته أو شيئاً من صفاته .

قال الشيخ – رحمه الله – : (**وقوله تعالى إخباراً عن عيسى** عليه السلام **أنه قال :** ﴿ تَعۡلَمُ مَا فِى نَفۡسِى وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِى نَفۡسِكَ ﴾) :

وفي هذه الآية إثبات صفة النفس لله تعالى . . . إلى غير ذلك من الآيات الدالة على إثبات النفس لله تعالى فنثبت هذه الصفة على الوجه اللائق بالله تعالى .

قال الشيخ – رحمه الله – : (**وقوله سبحانه :** ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ **وقوله تعالى :**﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾)

وفي هاتين الآيتين إثبات مجيء الله تعالى للفصل يوم القيامة بين الخلائق وهي من الصفات الفعلية ، بخلاف الوجه واليد فهما من الصفات الذاتية .

وعليه فصفات الله تعالى قسمان :

١- صفات ذاتية : وهي التي لا تنفك عن الله جل وعلا فلا يزال متصفاً بها كالوجه وكاليد وكالسمع والبصر والحياة والعلم والقدرة. . . . الخ .

٢- صفات فعلية : وهي الصفات التي يفعلها الله تعالى متى شاء ، فهي تبع مشيئته سبحانه كغضبه ورضاه وسخطه وكراهيته. . . . الخ .

ومن الصفات الفعلية : مجيء الله تعالى للفصل بين الخلائق يوم القيامة: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ سوره الفجر:٢٢، وقال : ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ سوره البقرة:٢١٠ .

وقال المؤولة: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ أي جاء أمر ربك ، و ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱلله ﴾ أي أن يأتيهم أمر الله وهذا تأويل باطل فهو تحريف لأنه لا دليل على هذا التأويل فلا يجوز حمل النصوص الشرعية عليه .

قال الشيخ – رحمة الله – : (**وقوله تعالى :** ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ﴾ **وقوله تعالى :** ﴿ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ **وقوله تعالى في الكفار :** ﴿ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ﴾ **وقوله تعالى :** ﴿ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ ﴾ **وقوله تعالى :** ﴿ كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ ﴾) :

ففي الآية الأولى : إثبات صفة الرضا لله تعالى فنثبتها كما جاءت بلا تعطيل ولا تأويل ولا تمثيل ولا تكييف.

وقال المؤولة : الرضا هو إرادة الإنعام وهذا تأويل باطل لا دليل عليه فهو من التلاعب بالنصوص الشرعية.

وفي الآية الثانية : إثبات صفة المحبة لله تعالى .

وفي الآية الثالثة : إثبات غضب الله .

وفي الآية الرابعة : إثبات سخط الله ، والسخط ضد الرضا .

وفي الآية الخامسة : إثبات الكره لله تعالى وأن الله يكره .

وهذه كلها من صفات الأفعال وهي ثابتة لله تعالى مع النظر للأصول الثلاثة التي تقدم التنبيه عليها .

قال الشيخ – رحمه الله – : (ومن السنة قول النبي ﷺ : (يترل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا)) :

هذا الحديث حديث متواتر عن النبي ﷺ وهو حديث متفق عليه ، وهذا الحديث دال على صفة من صفات الله الفعلية " وهي صفة الترول " وأن الله ﷻ يترل إلى السماء الدنيا كل ليلة في ثلث الليل الآخر .

وذلك في كل ليلة مع علوه على خلقه واستوائه على عرشه فلا يخلو منه عرشه وهو مع ذلك يترل إلى السماء الدنيا مع اختلاف الأزمان ويترل على كل إقليم .

ويجب في هذه الصفة الفعلية كما يجب في الصفات الأخرى من الأسس والأصول الثلاثة التي تقدم ذكرها ، فنؤمن بما أثبته الله لنفسه من نزوله إلى سماء الدنيا على لسان رسوله علية الصلاة والسلام فليس أحد أعلم بالله بعد الله من رسول الله ، وننفي أن يكون هذا الترول الذي أثبته الله ﷻ لنفسه على لسان رسوله عليه الصلاة والسلام وما يلزم منه من حركة وانتقال ننفي أن يكون ذلك يشبه صفات المخلوقين :﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ سوره الشورى:١١ ، فليس نزوله جل وعلا كترول خلقة بحيث يلزم منه لوازم باطلة كما يلزم من نزول المخلوق إذا نزل من السطح إلى الأرض أو من علو إلى أسفل فلا يلزم ذلك ، لأن صفات الله تعالى لا تشبه صفات المخلوقين ، ونقطع الطمع – كما هو الأصل الثالث – عن إدراك هذه الكيفية فإن هذه صفة من صفات الله تعالى متعلقة بذاته المقدسة فكما أن ذات الله جل وعلا لا تدرك كيفيتها فكذلك صفات الله تعالى لا تدرك فإن الصفات فرع عن الذات ، وهو من علم الغيب الذي لا يحيطه إلا الله تعالى .

وقال المؤولة والمعطلة : نزول الله تعالى هنا مجاز والمراد: نزول أمره ورحمته أو نزول مَلَك من ملائكته. . ! !

وهذا تأويل باطل لأنه يخالف الظاهر فهو انتقال من المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح بلا دليل وهو كما تقدم تلاعب بالنصوص الشرعية .

وأيضاً يقال : إن رحمة الله ﷻ وأمره وملائكته لا يقولان : من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له ، هذا لا يجوز أن يقوله الملك ، ولا يجوز أن يقوله أمر الله ورحمته ولا غير ذلك فلا تقول الرحمة: من يسألني فأعطيه بل القائل هو الله ﷻ .

ثم أن ملائكة الله تعالى يترلون كل وقت كما دلت عليه الآيات القرآنية ولا يخص ذلك بوقت دون وقت .

قال الشيخ – رحمه الله – : (وقوله : (يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة)) :

الحديث رواه الإمام أحمد بسند ضعيف .

والصبوة : هي الميل إلى الهوى .

وهذا الحديث دلّ على صفة العجب لله تعالى ولكن الحديث ضعيف لا يحتج به ، ولكن الصفة الثابتة بأدلة أخرى ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ ﴾ سوره الصافات:١٢ في قراءة سبعية.

وروى البخاري أن النبي ﷺ قال : (عجب ربك من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل) .

وفي سنن أبي داود وغيره بإسناد صحيح أن النبي ﷺ قال : (عجب ربنا من راعي غنم على رأس شظية في جبل يؤذن ويصلي فيقول الله ﷻ انظروا إلى عبدي يؤذن ويقيم الصلاة يخاف مني ، إني أدخلت عبدي الجنة) .

وفي سنن أبي داود أيضاً أن النبي ﷺ قال : (عجب ربنا من رجل خرج يجاهد في سبيل الله فانهزم أصحابه فعلم ما عليه فرجع فأهرق دمه فقال الله ﷻ لملائكته : انظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي ، ورهبة مما عندي حتى أهرق دمه) .

وهذه الأدلة تدل على إثبات العجب لله سبحانه وتعالى على الوجه اللائق به سبحانه فليس العجب هنا من العجب الذي يكون عن عدم علم فإن الله ﷻ متره عن ذلك و إنما هو مع إثبات علمه سبحانه .

وذلك من كون الشيء يخالف نظائره فيتعجب من ذلك ، فخروج الشاب عن نظائره في الإقبال على الشهوات والأهواء – هذا يُتَعجب منه ، وإلزام الناس في حرب قد ضعفت فيها الشوكة فانهزم الناس ثم يستمر هذا الرجل حتى يقتل ويخالف نظائره هذا يُتعجب منه ويُستَغرب . . . الخ .

فهذا هو العجب الثابت لله ﷻ مما يكون لمخالفة الشيء نظائره .

قال الشيخ – رحمه الله – : (وقوله (يضحك الله إلى رجلين قتل أحدهما الآخر ثم يدخلان الجنة)) :

وهذا الحديث متفق عليه وفيه إثبات الضحك لله ﷻ .

قال الشيخ – رحمه الله – : (فهذا و ما اشبهه مما صح سنده ، وعدّلت رواته ، نؤمن به ولا نرده ولا نجحده ولا نتأوله بتأويل يخالف ظاهره) :

سواء كان الحديث متواتراً أو كان آحاداً فالأحاديث الآحادية التي تلقاها السلف بالقبول وأخذوا بما دلت عليه من الصفات – هذه الأحاديث يجب الأخذ بها وهي تفيد العلم باتفاق أهل السنة والجماعة .

وقوله : " ولا نتأوله بتأويل يخالف ظاهره " هذا يبين مراد الموفق وأن المعنى المنفي إنما هو التأويل الذي يخالف الظاهر ، وأما المتبادر إلى الذهن فإنه لا ينفى .

قال الشيخ – رحمه الله – : (ولا نشبهه بصفات المخلوقين، ولا بسمات المحدثين، ونعلم أن الله سبحانه وتعالى لا شبيه له ولا نظير : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾) :

" سمات المُحّدَثين " المُحّدَثين: أي المخلوقين فلا نصف الله تعالى بصفات المخلوقين وسماتهم أي هيئاتهم .

قال الشيخ – رحمه الله – : (وكل ما تخيل في الذهن أو خطر بالبال فإن الله تعالى بخلافه ، ومن ذلك قوله تعالى :

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ وقول النبي ﷺ : (ربنا الله الذي في السماء نقدّس اسمك)) :

هذا الحديث رواه أبو داود بإسناد ضعيف .

قال الشيخ – رحمه الله – : ((وقال للجارية: أين الله ؟ قالت: في السماء. قال : أعتقها فإنها مؤمنة) رواه مالك بن أنس ومسلم وغيرهما من الأئمة ، وقال ﷺ لحصين:(كم إلاهاً تعبد ؟ قال سبعة . . . .) الخ) :

رواه ابن خزيمة في التوحيد بسند ضعيف .

قال الشيخ – رحمه الله – : (وفيما نقل من علامات النبي ﷺ وأصحابه في الكتب المتقدمة (أنهم يسجدون بالأرض ، ويزعمون أن إلههم في السماء)) :

رواه ابن قدامة والذهبي في العلو واستغربه – وفيه نكارة لأن اعتقاد أن الله ﷻ في السماء ليس بخاص في هذه الأمة بل هو مما اتفقت عليه الملل فكل الملل تقول : إن الله ﷻ في السماء .

قال الشيخ – رحمه الله – : (وروى أبو داود في سننه إن النبي ﷺ قال : (إن ما بين سماء إلى سماء. . . .) الخ) :

وهو حديث الأوعال المشهور – رواه أحمد و أبو داود والترمذي بإسناد ضعيف .

قال الشيخ – رحمه الله – : (فهذا وما أشبهه مما أجمع السلف – رحمهم الله – على نقله وقبوله ، ولم يتعرضوا لرده ولا تأويله ولا تشبيهه ولا تمثيله) :

وقد دل القران والسنة على صفة استواء الله على عرشه فقد استوى – سبحانه – على عرشه .

والاستواء : هو العلو والارتفاع ، فاستوى على العرش يعني علا عليه وارتفع ، كما يقال : فلان استوى على راحلته أي علا وارتفع واستقر ، والله سبحانه له العلو المطلق قبل استوائه على عرشه ولكن الاستواء على العرش نوع خاص من العلو وإلا فإن الله تعالى له العلو المطلق السابق للاستواء على العرش .

ولكن استوائه على العرش يختص بالعرش فله خصوصية من العلو .

وقد قال المؤولة : إن الاستواء هنا بمعنى الاستيلاء ، استولى على العرش أي استوى عليه !!

وهذا باطل من القول ، وذلك : لما تقدم من أن الواجب هو حمل اللفظ على ظاهره فلا يجوز ترك الظاهر إلى معنى من المعاني الأخرى إلا بدليل يدل على ذلك ولا دليل على ما ذكروه .

ثم إن تعريف الاستواء بالاستيلاء ليس بمعروف في لغة العرب أصلاً فلا يعرف أن الاستواء يعرّف بالاستيلاء.

ثم إن القول بأن معناها الاستيلاء يلزم منه معانٍ باطلة فمنها : أن الله سبحانه لم يكن مستولياً على العرش قبل ذلك وإنما كان تحت ملك غيره وتحت تصرف سواه ثم استولى عليه – وهذا معنى باطل .

وعليه : فالاستواء هو العلو والارتفاع – وهذا باتفاق سلف الأمة وقد استدل المؤلف على هذا بالأدلة التي تقدم ذكرها ، والاستواء على العرش قد أتى في سبع آيات من القرآن .

والعرش لغة : هو سرير الملك .

وعرش الله ﷻ عرش مجيد كريم هو أعظم مخلوقات الله تعالى وهو أول خلق الله تعالى فأول ما خلقه الله من المخلوقات هو العرش كما دل على ذلك الحديث الثابت في الصحيح .

وأهل السنة والجماعة يثبتون لله تعالى استواء يليق بجلاله فقد استوى على عرشه استواءً يليق بجلاله وهو مبني على الأصول الثلاثة المتقدمة فنؤمن بالاستواء لوروده في الكتاب والسنة ، ثم نعتقد أنها لا تشبه صفات المخلوقين : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ سوره الشورى:١١ ثم نقطع الطمع عن

إدراك الكيفية لهذه الصفة لأن العقول لا تدركها ولا يمكن للقلوب أن تتخيلها كما قال تعالى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ﴾. سوره طـه:١١٠ .

قال الشيخ – رحمه الله – : (سُئل الإمام مالك بن أنس رحمه الله فقيل له : يا أبا عبد الله ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ كيف استوى ؟ فقال. . . . الخ) :

هذا الأثر رواه اللالكائي وغيره ممن يؤلفون في السنة وهو أثر صحيح عنه رحمه الله ، وهو قاعدة في صفات الله تعالى فهنا الإمام مالك قال : (والاستواء غير مجهول) أي معناه ليس بمجهول فنحن نقرأ لفظه ونفسره كما ورد في لغة العرب وهكذا نقول : كل صفات الله تعالى ليست بمجهولة ، (والكيف غير معقول) فكنه هذه الصفة وحقيقتها ووصفها ليس بمعلوم للمكلفين لأن الخلق لا يحيطون بالله علماً (والإيمان به واجب) لأن الله ﷻ أخبر به عن نفسه والنبي ﷺ أخبر به عن ربه (والسؤال عنه بدعة) أي السؤال عن الكيفية لأن هذا من قفو ما ليس لك به علم وقد قال تعالى : : ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴾. سوره طـه:١١٠ .

وهذا الكلام من الإمام مالك – رحمه الله – هو كلام السلف كلهم في صفات الله تعالى .

وقد أورد المؤلف – رحمه الله – أدلة تدل على علو الله على خلقه كقوله تعالى : ﴿ أأمنتم من في السماء ﴾ والأدلة من القرآن ومن السنة متواترة على إثبات العلو لله ﷻ ، وأن لله ﷻ العلو الذاتي فذاته سبحانه فوق كل شيء .

١- والمراد بالسماء في قوله : ﴿ من في السماء ﴾ أي : العلو وليس المراد بالسماء هذه السماء المبنية فيكون الله في جوف السماء المبنية بل يتعالى الله جل وعلا عن ذلك بل المراد : أءمنتم من في العلو .

٢- ويصح أن تكون (في) بمعنى (على) كقوله تعالى : ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ ﴾ سوره طـه:٧١ أي : على جذوع النخل وليس المراد في جوفها. وتكون السماء على هذا هي المبنية ويكون المعنى : أءمنتم من هو على السماء المبنية وهو الله تعالى فهو قد علا عليها .

وقال المؤولة : علو الله تعالى هو علو ملكه وسلطانه وأن الذي في السماء هو ملك الله أي : أءمنتم من في السماء ملكه وسلطانه !!

وهذا تأويل باطل لأن هذا التأويل يخالف الظاهر والواجب حمل النصوص الشرعية على ظاهرها والانتقال إلى محتمل مرجوح تلاعب بالنصوص كما تقدم تقريره .

ثم إن ملك الله تعالى وسلطانه ليس خاصاً في السماء بل هو في السماء والأرض وفيما بينهما ، ولذا : كفّر أهل السنة والجماعة من نفى علو الله ﷻ على خلقه لدلالة القران والسنة وإجماع السلف على ذلك .

وكذلك دلالة الفطرة ، فإن العباد مفطورون على أن الله في السماء فلا تجد داعياً يدعوا الله ﷻ إلا ويجد في قلبه حاجة إلى الارتفاع في العلو فيشعر في نفسه أنه يدعوا الله الذي هو فوقه ولا يشعر أنه يخاطب من هو بجانبه أو من هو أسفل منه .

فإذن : هذه الأدلة من الكتاب والسنة والإجماع ودلالة العقل والفطرة تدل على أن الله ﷻ في العلو المطلق.

قال الشيخ – رحمه الله – : (ومن صفات الله تعالى أنه متكلم بكلام قديم يسمعه منه من شاء. . .

وقال سبحانه : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾"

ذكر المؤلف في هذه المسألة : أن من صفات الله تعالى صفة الكلام ، وأن كلام الله ﷻ قديم " أي قديم النوع " وهو حادث الآحاد .

في النظر إلى اتصاف الله تعالى بصفة الكلام وانتفاء صفة الخرس عنه جل وعلا فالله تعالى متصف بالكلام من هذه الحيثية اتصافه بها اتصاف قديم أزلي ، وأما من حيث كونه يتكلم متى شاء إذا شاء فإن كلامه ﷻ بالنسبة إلى هذا كلام حادث ، وعليه : فالكلام قديم النوع ، حادث الآحاد .

(يسمعه منه من شاء من خلقه. . . ورسله) كمحمد عليه الصلاة والسلام فإن الله ﷻ كلمه ليلة المعراج كما ثبت ذلك في الصحيحين .

وكلام الله ﷻ كلام يليق به سبحانه – وهذا مبني على الأصول الثلاثة .

فالأول : إثبات الصفة كما جاءت .

والثاني : نفي أن تشبه هذه الصفة صفة من صفات المخلوقين فلا يشبه كلامه كلام المخلوقين .

والثالث : قطع الطمع عن إدراك كيفية هذه الصفة .

قال المؤلف : (وأنه سبحانه يكلم المؤمنين في الآخرة . . . برسالاتي وبكلامي) .

قوله : (تكليماً) : مصدر مؤكد وهذا المصدر المؤكد فيه دليل على نفي المجاز عن الكلام فكما أن الكلام يجب حمله على ظاهره وأنه كلام الله تعالى صفة حقيقية ، فأكد الله ذلك بقوله : (تكليماً) وهو يؤكد أن الكلام حقيقي .

وقال الأشاعرة : إن كلام الله ﷻ ليس بكلام حقيقي وإنما هو كلام مجازي فكلام الله تعالى عندهم كلام نفسي يعبّر عنه باللغات المختلفة فإذا عبّر عنه باللغة العربية كان قرآناً وإذا عبّر عنه بالعبرانية كان توراة وإذا عبّر عنه بالسريانية كان إنجيلاً ، وعليه : فعندهم الحروف والكلمات التي في القرآن مخلوقة وكذلك الصوت عندهم مخلوق فالله ﷻ ليس لكلامه صوت وليس لكلامه حروف ولا كلمات بل كل ذلك مخلوق – وعليه : فالقرآن الذي بين أيدينا مخلوق .

ويستدل الأشاعرة بقوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ ﴾ سوره المجادلة:٨ قالوا : فسمّى الله القول الذي في الأنفس سماه قولاً .

والجواب عليه : أن الله سبحانه وتعالى قيَّده هنا بالأنفس فدل على أنه إذا أطلق فإنه ليس هو الكلام النفسي ولذا قال النبي ﷺ كما في الصحيحين : (إن الله تجاوز لي عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم) .

فدل هذا الحديث على أن الكلام النفسي وهو حديث النفس على أنه ليس بكلام ، والآيات التي فيها كلام الله تعالى لم تقيد بالنفس كما قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ﴾ سوره المائدة:١١٠

و لم يقيده الله بقوله : إذا قال الله في نفسه . . . إلى آخر ذلك من الآيات .

فإذن : يتبين أن قولهم من باب التلاعب بالنصوص فهو نقل للكلام من حقيقته إلى مجازة بلا دليل .

وأما الجهمية فإنهم صرحوا بأن كلام الله تعالى مخلوق و لم يأتوا بمثل هذا الكلام الذي ذكره الأشاعرة وأنه كلام نفسي ، ولكن قول الأشاعرة راجع إلى قول الجهمية فكلهم متفقون على أن القرآن الذي بين أيديهم والذي يخاطب الله به ملائكته ورسله والذي يتلى – كله عندهم ليس بكلام الله تعالى وإنما هو مخلوق حروفه وكلماته .

وقال سبحانه : ﴿ قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي ﴾ سوره الأعراف:١٤٤.

وهذا فيه إثبات صفة الكلام من وجهين :

الأول : قوله : ﴿ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ وهذا كلام يتألف من حروف وكلمات .

الثاني : قوله : ﴿ وَبِكَلَـٰمِى ﴾ وهنا الكلام أضيف إلى الله ﷻ .

والمضاف إلى الله تعالى نوعان :

الأول : ما أضيف إلى الله تعالى وهو من الأوصاف .

والثاني : ما أضيف إلى الله تعالى وهو من الأعيان .

والوصف : هو ما لا يقوم بنفسه ، كالعلم فهو وصف لا يقوم بنفسه بل لابد له من ذات وعين يقوم بها وهي ذات العالم ، وكذا القوة لا تقوم بنفسها وإنما تقوم بمتصف بها وهو القوي وكذلك الحكمة والكلام ... الخ .

والعين : هي التي تقوم بنفسها كالبيت فهو عين قائمة بذاتها. وكالناقة والرسول فإذا أضيف إلى الله تعالى وصف فيكون قائما بذات الله تعالى يكون وصفاً لله ﷻ – فهو من باب إضافة الصفة إلى موصوفها كما لو قيل : سمع الله وكلام الله ، وبصر الله ، وعلم الله . . . الخ .

ومن هذا النوع قوله تعالى : ﴿ بِرِسَـٰلَـٰتِى وَبِكَلَـٰمِى ﴾ فالكلام صفة أضيفت إلى الله تعالى وهو من باب إضافة الصفة إلى الموصوف لأن الكلام صفة لا تقوم بنفسها فكانت قائمة بذات الله تعالى .

والنوع الثاني : إضافة عين إلى الله وهي تفيد أن هذه العين خلق الله تعالى وتخصيصها بهذا تشريفاً لها كبيت الله ، وناقة الله ، ورسول الله ، وروح الله . . . الخ ، فأضيفت إلى الله وهو من باب إضافة المخلوق إلى خالقه تشريفاً للمخلوق .

وقال سبحانه: ﴿ منهم من كلم اللهُ ﴾ :

في هذه الآية دليل على أن الله تعالى يتكلم وأنه قد خصّ بعض أنبيائه بتكليمه إياهم مباشرة بلا واسطة.

قال الشيخ – رحمه الله – : (وقال تعالى :﴿ فَلَمَّآ أَتَـٰهَا نُودِىَ يَـٰمُوسَىٰٓ ۝١١ ﴾

وقال سبحانه : ﴿ إنني انا الله لا إله إلا انا فاعبدني ﴾ **وغير جائز أن يقول هذا إلا الله) :**

لا يجوز أن يقول هذه المقالة : (إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني) إلا الله ولا يجوز أن يقول ذلك أي مخلوق كان كالشجرة أو الحجر أو نحو ذلك – فهذا محال غير سائغ شرعاً فدل على أن الله ﷻ هو المتكلم على الحقيقة .

قال الشيخ – رحمه الله – : (وقال عبد الله بن مسعود ﷺ : إذا تكلّم الله بالوحي .. وروي عن النبي ﷺ) :

روى هذا الأثر البخاري تعليقاً ووصله ابن خزيمة وغيره ، وفي سنن أبي داود كما أشار المؤلف بقوله : (وروي ذلك عن النبي ﷺ) وسنده صحيح عن عبد الله بن مسعود ﷺ مرفوعاً قال : (إذا تكلم الله ﷻ بالوحي سمع أهل السماوات صلصلة كصوت السلسلة) .

فهذا الحديث المرفوع وذاك الأثر الموقوف يدلان على أن الله ﷻ يتكلم بصوت يسمع .

قال الشيخ – رحمه الله – : (وروى عبد الله بن أنيس عن النبي ﷺ. . . رواه الأئمة واستشهد به البخاري) :

هذا الحديث حديثا حسن رواه الإمام أحمد وغيره ورواه الإمام البخاري معلقاً ، وفيه أن الله ﷻ يتكلم بصوت كما دل عليه القران بقوله : ﴿ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَـٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ ﴾ سوره مريم:٥٢ .

فالنداء والنجاء يفيدان الصوت لأن النداء يكون مع رفع الصوت. والمنجاة تكون مع خفضه .

قال الشيخ – رحمه الله – : (وفي بعض الآثار أن موسى ﷺ. . . قال: بل كلامي يا موسى) :

وهذا الأثر من الآثار الإسرائيلية. وقوله: (أنا فوقك وأمامك وعن يمينك وعن شمالك) يعني أن ذات الله فوق كل شي. وأما قوله: وأمامك وعن يمينك وشمالك فهذا بعلمه سبحانه وتعالى وإحاطته وسلطانه وسيأتي الكلام عن المعية في موضعها – إن شاء الله – .

" فصل "

من فروع مسألة صفة الكلام لله سبحانه وتعالى أن القرآن الذي أنزله الله على رسوله ﷺ من كلام الله عز وجل هذا هو قول أهل السنة .

وتقدم أن المبتدعة من الجهمية والأشاعرة يقولون : أن كلام الله عز وجل مخلوق .

وينبني على ذلك : أن القرآن مخلوق ، لأنه من كلام الله عز وجل ، لكن الجهمية لا يتأولون الكلام بالكلام النفسي بل يرون أن الله عز وجل لا يتكلم مطلقاً لا بالنفس ولا بالكلام الحقيقي .
وأما الأشاعرة فقد تأولوا كلام الله عز وجل في القرآن لأنه كلام نفسي كما تأولوه في غير القرآن ، فعندهم أن الله سبحانه وتعالى قد قامت في نفسه المعاني التي دل القرآن عليها ، لكن الألفاظ التي يحكيها القارئ ونسمعها من صوته والتي تُكتب بمداد الكاتب هذه مخلوقة عند الأشاعرة ، وعليه : فقولهم يؤول إلى قول الجهمية – كما قال الإمام أحمد رحمه الله
تعالى : من قال أن القرآن مخلوق فهو جهمي . ا. هـ.
إذن : الأشاعرة يقولون : إن الألفاظ المكتوبة والألفاظ المقروءة هي مخلوقة ، وإنما تكلم الله عز وجل بالقرآن كلاماً نفسياً ، فقد قامت معاني القرآن في نفسه ثم عبّر عنها وحكاها بخلق .
فعلى ذلك : القرآن الذي بين أيدينا ألفاظه مخلوقة على قول الأشاعرة ، وعليه : فيؤول قولهم إلى قول الجهمية .
فهنا في هذا الفصل يبيّن المؤلف – رحمه الله – أن القرآن من كلام الله سبحانه وتعالى وأهل السنة والجماعة يقولون : أن صوت القارئ ومداد الكاتب مخلوقة ، لكنَّ المكتوب بالمداد والمُتلفَّظ به باللسان – أي : بصوت القارئ هذا هو كلام الله عز وجل ، فاللفظ لفظ القارئ والملفوظ كلام البارئ سبحانه وتعالى .
قال الشيخ – رحمه الله – : (ومن كلام الله سبحانه القرآن العظيم. . . . منه بدأ وإليه يعود) :
فهو بدأ من الله عز وجل لأن الله هو قائله وقد أنزله سبحانه على نبيه ، وسيأتي ذكر الأدلة على هذا ، (وإليه يعود) كما دل على هذا ما رواه ابن ماجة بإسناد صحيح أن النبي ﷺ قال في حديث طويل : (وليسرى على كتاب الله عز وجل في ليلة فلا يبقى منه في الأرض آية) .
قال الشيخ – رحمه الله – : (وهو سور محكمات. . . . ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾) **" فصلت ٤٢ "**

فقوله : ﴿ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ سوره فصلت:٤٢ يدل على أن القرآن قد بدأ من الحكيم الحميد ، الله سبحانه وتعالى .

قال الشيخ – رحمه الله – : (وقوله تعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾{الإسراء:٨٨} **لأن ما ليس كذلك لا يقول أحد : إنه شعر) :**

فلا يقال : أن الكلام النفسي شعر ، فهم أي هؤلاء الكفار إنما قالوا ذلك في القرآن فقالوا : إنه شعر ، وقالوا : إن هذا إلا قول البشر ، إلى غير ذلك من مقالاتهم الباطلة ، فدل على أنهم يريدون بذلك هذا القرآن الذي بين أيدينا المتألف من الحروف والكلمات ، لأن الكلام النفسي لا أحد يقول : إنه شعر ، فدل هذا على أن المراد بذلك هو كتاب الله القرآن الذي بين أيدينا .

قال الشيخ – رحمه الله – : (وقال الله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ **ولا يجوز أن يتحداهم بالإتيان بمثل ما لا يُدرى ما هو ولا يُعقل) :**

لأن الكلام الذي في النفس لا يُدرى، فدل هذا على أن المراد بذلك هذا القرآن الذي بين أيدينا المتألف – كما تقدم – من حروف وكلمات .

قال الشيخ – رحمه الله – : (وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي ﴾ { يونس : ١٥} **فأثبت أن القرآن هو الآيات التي تتلى عليهم) :**

وهذا – أيضاً – دليل ظاهر، فإن الله سبحانه وتعالى حكى عن الكفار أنهم كانوا يقولون للنبي ﷺ ائت بغير هذا القرآن أو بدله

يقولون ذلك إذا تُليت عليهم آيات الله عز وجل بينات .

فدل هذا على أن القرآن يُتلى عليهم ، وعليه : فالقرآن هو الذي يتلى وليس هو الكلام الذي في النفوس ، لكنه الكلام الذي يتلى بالأصوات فتسمعه الآذان .

قال الشيخ – رحمه الله – : (**وقال تعالى:** ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾) : { العنكبوت: ٤٩ } .

وما هو الذي في صدور الذين أوتوا العلم، أهو الكلام النفسي – كما يقول هؤلاء الأشاعرة – أم هو الآيات المعجزة البينة المتألفة من الحروف والكلمات ؟

لا شك أنه الثاني .

قال الشيخ – رحمة الله – : (**وقال تعالى:** ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴾ {الواقعة : ٧٧} **وافتتح تسعاً وعشرين سورة بالحروف المقطعة**) :

وهذا يدل على أن القرآن حروف ، فافتتاحه بالحروف المقطعة يدل أنه حروف .

قال الشيخ – رحمه الله – : (**وقال النبي** ﷺ : (**من قرأ القرآن فأعربه. . . . حسنة**)

حديث صحيح) :

الحديث لا يصح ، قد رواه الطبراني في الأوسط وإنما صح في سنن الترمذي بلفظ : " من قرأ حرفاً من القرآن فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول : (آلم) حرف ، ولكن (ألف) حرف و (لام) حرف و (ميم) حرف " فهذا الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي وغيره فيه : أن القرآن حروف يعني : يتكون من حروف .

قال الشيخ – رحمه الله – : (**وقال** عليه السلام : (**اقرؤوا القرآن . . . ولا يتأجَّلونه**)) :

والحديث رواه أبو داود وغيره بإسناد صحيح. والشاهد منه قوله: " يقيمون حروفه " ففيه أن القرآن يتألف من حروف .

قال الشيخ – رحمه الله – : (وقال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما إعراب. . . . ، وقال علي. . . . كفر به كله) :

أثر علي رضي الله عنه رواه ابن جرير بإسناد صحيح. فالذي يجحد حرفاً من القرآن فأنه يكفر بالقرآن كله لأن قد آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض ، وقد أجمع أهل العلم على أن من أنكر حرفاً من القرآن فقد كفر بالقرآن كله – كما قال ذلك علي رضي الله عنه فهذا الأثر وما قبله يدلان على أن القران يتألف من حروف .

قال الشيخ – رحمه الله – : (**واتفق المسلمون على عد سور القرآن . . .. . قاطعة على أنه حروف**) :

" فصل "

قال الشيخ – رحمه الله – : (والمؤمنون يرون يوما القيامة بأبصارهم ويزورونه . . . يرون في حال الرضى وإلا لم يكن بينهما فرق) :

قد أجمع أهل السنة و الجماعة على أن المؤمنين يرون الله ﷻ يوم القيامة و أن هذه الرؤية رؤية حقيقية وليست بمجازية كما قال أهل التأويل وأن الرؤية يراد بها رؤية الثواب أي يرون ثوابه و جزاءه لأعمالهم فإن هذا الذي ذكروه تأويل وهو انتقال من الحقيقة إلى المجاز بلا دليل يدل على ذلك بل الأدلة مصرحة بخلافه فهنا يقول الله ﷻ ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ سوره القيامة:٢٢ أي حسنه بهيّة جميلة ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ والنظر هنا هو النظر بالبصر فهو بالعين الباصرة كما يدل عليه التعدية بـ (إلى) فإن النظر إذا عدّي بـ (إلى) أفاد الرؤية البصرية كما تقول : (نظرت إلى زيد) أي : أبصرت بعيني .

وأما إذا عدّي النظر بـ (في) فيفيد التفكر كما تقول : نظرت في الشيء أي تفكرت فيه وقال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ سوره الأعراف:١٨٥ أي أو لم يتفكروا. . . وأما إذا تعدى بنفسه فهو يفيد الانتظار كما قال تعالى عن المنافقين: ﴿ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾ سوره الحديد:١٣ أي انتظرونا . . . . ونقول : انظرني يعني انتظرني .

وفي هذه الآية أضاف الله ﷻ الرؤية إلى الوجوه فقال : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ سوره القيامة:٢٢- ٢٣ فدل على أنى الرؤية ليست بالقلوب وإنما هي بالوجوه التي فيها آلة النظر وهي العين ، وأما قوله تعالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ سوره المطففين:١٥.

فهو دليل أيضاً على أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة – كما ذكر ذلك المؤلف وبيّن وجه الاستدلال بقوله : لّما حُجب أولئك في حال السخط ، دل على أن المؤمنين يرونه في حال الرضى وإلا لم يكن بينهما فرق أي بين الطائفتين .

قال الشيخ – رحمه الله – : (وقال النبي ﷺ : (إنكم سترون ربكم. . . فإن الله ﷻ لا شبيه له ولا نظير)) :

هذا دليل من السنة والأدلة من السنة متواترة على أن المؤمنين يرون الله ﷻ يوم القيامة وفي هذا الحديث كما ذكر المؤلف : دليل على ثبوت الرؤية .

وفيه تشبيه رؤية بالرؤية لا تشبيه المري بالمري فليس فيه تشبيه الله ﷻ بالقمر فإن الله لا يشبه بشي من خلقه إذ

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ سوره الشورى: ١١ .

وإنما فيه : تشبيه الرؤية بالرؤية فإن الناس يرون القمر رؤية واضحة جليّة لا يحجب بعضهم بعضاً عنه ، ولذا : قال النبي ﷺ (لا تضامون في رؤيته) فلا يحصل حجب من بعضكم للبعض الآخر بل الكل يراه من غير أن يحجبه أحد كما ترون القمر والشمس ولو اجتمعتم في أرض واحدة فلا يحصل حجب بل كل يأخذ نصيبه من الرؤية الظاهرة الجلية فكذلك هم يرون الله ﷻ رؤية ظاهرة بينة لا يحجز بعضهم بعضاً ولا يظلم بعضهم بعضاً ، فالتشبيه هنا تشبيها للرؤية بالرؤية وليس تشبيهاً للمرئي بالمرئي ٠

والأدلة – كما تقدم - كثيرة في أن المؤمنين يرون الله ﷻ يوم القيامة في الكتاب والسنة – وعلى ذلك أجمع سلف الأمة وهذه الرؤية تكون للمؤمنين في عرصات يوم القيامة كما تكون لهم في الجنة ، ومن الأدلة على أنها تكون لهم في عرصات الموقف : ما يثبت في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وفيه (فيرون الله تعالى على صورته فيكشف عن ساقه فيسجدون) وذلك إذا ذهب كل قوم بما يعبدون من دون الله ﷻ ٠

ومن الأدلة على أن الرؤية تكون في الجنة: ما ثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال : [يقول الله ﷻ إذا أُدخل أهل الجنة الجنة : هل تريدون شيئاً أزيدكم ؟ ! فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ، وتدخلنا الجنة ، وتنجنا من النار ؟ فيكشف الحجاب " أي عن نفسه ﷻ " فما أروا شيئاً أحب إليهم من النظر إليه ﷻ قال النبي ﷺ : وتلك الزيادة ثم قرأ (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة)] ٠

فالزيادة : هي النظر إلى وجه الله تعالى ، فالمؤمنون يرون الله تعالى في عرصات القيامة وفي الجنة ، وأما في الدنيا فإن الله تعالى لا يرى لا لأن الرؤية لله ﷻ تخل بشيء من الاعتقاد به ﷻ وإنما لأن الإنسان في خلقته غير قادر على رؤية الله تعالى فلا يحتمل الرؤية ولا يتمكن منها فهي مستحيلة بالنسبة للآدمي في الدنيا ٠

وأما في الآخرة فإن الله ﷻ يعطي الإنسان من القوة ما يتمكن بها من رؤيته ٠

ولذا : فإن موسى عليه السلام لما سأل الله ﷻ الرؤية قال الله تعالى : : ﴿ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِىۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًاۚ ﴾. سوره الأعراف:١٤٣.

ولذا : فإن الله ﷻ حجب نفسه عن كليمه موسى ؑ وقال : لن تراني ، ولذا : اتفق الصحابة ﷺ على أن النبي ﷺ لم ير ربه في الدنيا وإن كانت هذه المسألة ليست من المسائل التي يضلل بها المخالف فقد ذهبت طائفة قليلة من أهل السنة إلى أن النبي قد رأى ربه ، والصحيح ما اتفق عليه الصحابة وعليه جمهور أهل السنة من أن النبي ﷺ لم ير ربه .

ففي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال : (نور أنّى أراه) أي بيني وبينه سبحانه نور فإن حجابه النور كما ثبت في مسلم ، ولما قيل لعائشة في ذلك قالت : (لقد قَفّ شعري مما قلت ، من حدثكم أن محمداً عليه الصلاة والسلام رأى ربه فقد كذب) وهو في الصحيح .

فإذن الرؤية في الدنيا لله تعالى ممتنعة لأن الإنسان لا يمكن منها في الدنيا ، ولذا قال تعالى : ﴿ لَن تَرَىٰنِى ﴾ ولم يقل : لا أُرى ، كما لو قال قائل لرجل يحمل شيئاً : أطعمني من هذا الطعام الذي معك فإن كان مطعوماً ولا يريده يأكل منه فإنه يقول : لن تطعمه ، وإن كان غير طعام فيقول : هو ليس بطعام ، فإذا قال : لن تطعمه فيدل هذا على أنه في الأصل يطعم ، وهنا قال : ﴿ لَن تَرَىٰنِى ﴾ فدل على أن الله ﷻ في الأصل يرى .

وأيضاً فإن الله ﷻ لم ينكر على موسى ؑ هذا السؤال ولو كان هذا السؤال لا يليق بالله ﷻ لا نكره عليه كما أنكر على نبيه نوح في قوله : ﴿ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ سوره هود:٤٦

وأيضاً : فإن الجبل قد تمكن من الرؤية ولذا أصبح دكاً هباءً منثورا ، وإذا كانت الجبال ترى الله ﷻ فإن الله لا يمنع من هذه الرؤية أنبياءه وأولياءه الصالحين وإنما حجبوا عن هذه الرؤية في الدنيا لعدم استطاعتهم عليها ولأنه أعظم النعيم وهم قد حجبوا عن الجنة في الدنيا وأعظم نعيم الجنة رؤية الله ﷻ .

فإذن : هذه الآية تدل على الرؤية من أوجه :

١- أن الله قال : ﴿ لَن تَرَىٰنِى ﴾ ولم يقل : لا أُرى فدل على إمكانها .

٢- أن الله لم ينكر ذلك على موسى كما أنكر على نوح سؤاله .

٣- أن الجبل رأى الله تعالى فكان دكاً والأنبياء والأولياء أولى به ولكنهم لا يستطيعون ذلك في الدنيا وهو مما أدخرلهم في دار الجزاء .

وقال بعض المبتدعة أن قوله : ﴿ لَن تَرَىٰنِى ﴾ دليل على عدم الرؤية في الدنيا والآخرة لأن (لن) تفيد النفي المؤبد وهذا باطل فإن (لن) لا تفيد النفي المؤبد بدلالة القرآن فإن الكفار قال الله عنهم (ولن يتمنوه

أبداً) أي الموت وقال عنهم في الآخرة : ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ سوره الزخرف:٧٧ .

فهنا ثبت تمنيهم له في الآخرة فلم تفد (لن) التأبيد ، قال ابن مالك " هو من أئمة النحاة " :

ومن رأى النفي بـــ لن مؤبدا فقوله اردد وسواه فاعضدا .

فلا يصح القول بأن (لن) تفيد النفي المؤبد .

واستدل بعض من نفى الرؤية بقوله تعالى : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَارُ ﴾ سوره الأنعام:١٠٣

قالوا : فهو يدل على نفي الرؤية !! .

وهذا باطل فإن الله ﷻ نفى أن تدركه الأبصار أي : أن تحيط به وأن تدرك كنهه – وهذا واضح فإن الأبصار مخلوقة ولا تحيط بخالقها سبحانه وليس في الآية نفي الرؤية فإن أبصارنا لا تحيط بالشمس ولا تدرك حقيقة الشمس ولكنها تراها ، فالله هنا نفى الإدراك و لم ينف الرؤية .

فكان هذا الدليل الذي استدلوا به دليلاً عليهم ، ولذا قال شيخ الإسلام – رحمه الله -: لا يستدل المبطل بدليل صحيح إلا كان دليلاً عليه وكان في دليله ما يدل على بطلان دعواه أ . هـــ .

وهاتان الآيتان كذلك فإنهما يدلان على إمكان الرؤية خلافاً لمن ادعى من المبطلين من أنهم يدلان على عدم إمكان الرؤية .

" فصل "

قال الشيخ – رحمه الله – : ((ومن صفات الله تعالى أنه الفعال لما يريد. . . ولا يتجاوز ما خط في اللوح المسطور))

الإرادة نوعان :

أ – إرادة كونية قدرية .

ب – إرادة دينية شرعية .

ج – إرادة كونية قدرية – وهي بمعنى المشيئة ، ووقوعها لازم فإن ما أراده الله ﷻ كونا وقدراً لا راد لـه فلا بد أن يقع كما أراده الله .

وهذا النوع مما يريد الله ﷻ وقوعه قد يحبه وقد لا يحبه ، فقد قدر الله تعالى الإيمان وأحبه ، وقدر إيمان المؤمن وأحبه ، وقدّر كفر الكافر وأبغضه ، فهي لازمة الوقوع ولكنها لا تستلزم المحبة .

أ – إرادة دينية شرعية – وهي بمعنى المحبة وهي تستلزم المحبة فالله ﷻ أراد من عباده الطاعة ويحب وقوعها وأراد من عباده اجتناب المعصية ويحب وقوع ذلك من اجتناب المعصية ولكنها ليست لازمة الوقوع فقد يقع ذلك من المكلفين وقد لا يقع .

فالفرق بين الإراديتين أن الإرادة الكونية تستلزم الوقوع ولا تستلزم المحبة وأما الإرادة الدينية فإنها تستلزم المحبة ولا تستلزم الوقوع .

فكل ما أراده الله ﷻ كونا وقدراً فلا بد من وقوعه ومنه المحبوب ومنه المبغض وما أراده الله شرعاً وقدراً من ما يقع ومنه ما لا يقع والله ﷻ يحبه كما لو أمر الله ﷻ عباده بالصلاة فإنه يحب الصلاة ولكن قد يفعلها المكلفون وقد لا يفعلونها وإذا شاء الله ﷻ أن يقع شيء في هذا الكون كالزلازل أو الكسوف ونحو ذلك من الأقدار الكونية فإن هذا لا بد أن يقع ولكن هل يحب الله ﷻ ذلك أو لا يحبه ؟

قد يكون محبوباً إليه وقد يكون غير محبوب إليه .

قوله : (ولا محيد لأحد عن القدر المقدور . . . .)

القدر : بفتح الدال وتسكينها قدَر وقدْر. وهو مصدر قدرتُ الشيء أقدره قدْراً وقدَراً أي : أحطت بمقداره .

شرعاً : فهو ما سبق به علم الله تعالى ، وجرى به قلمه ، وأوجده الله تعالى بمشيئته النافذة .

وعلى ذلك فأركان القدر أربع :

١– العلم الشامل السابق .

٢– الكتابة للقدر .

٣– المشيئة النافذة .

٤– الخلق والإيجاد .

فمثلاً : زيد قتل عمراً ، فقتل زيد لعمرو في اليوم الفلاني هذا قدر من الله ﷻ فقد قدر لعمروٍ أن يقتله زيد .

وهذا القدر قد علم الله ﷻ وقوعه قبل أن يقع فعلم الله سبحانه سابق لوقوعه و لم يقع أُنُفاً " يعني سابقاً لعلم الله " بل يتعالى الله عن ذلك فلا يقال : إن الله لم يعلم به إلا بعد أن وقع – فهذا باطل وهو قول القدرية الغلاة .

وقد كتب الله ﷻ هذا القتل في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق الله السماوات و الأرض بخمسين ألف سنة .

ثم شاء الله ﷻ هذا القتل وليست مشيئة هذا القاتل مستقلة عن مشيئة الله بل شاءه الله ﷻ ثم شاء القاتل هذا القتل فمشيئته تابعة لمشيئة الله ثم أن الله ﷻ مع مشيئتة أوجد ذلك فقد شاءه وأوجده فهذا القتل الذي وقع من زيد لعمرو هو خلق لله تعالى لأن القتل فعل القاتل وفعل القاتل خلق لله ﷻ لأن الله سبحانه هو خالق العباد وخالق أفعالهم .

فهذه هي مراتب الإيمان بالقدر .

دليل العلم السابق قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ سوره الحج:٧٠ وقال تعالى : (وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً) .

وعلم الله ﷻ شامل لكل شيء فقد علم الله ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون كما قال تعالى :﴿ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ ﴾ سوره الأنعام:٢٨ .

فهذا لم يكن ولن يكون ولكن الله ﷻ علم أنه لو كان على أي حال سيكون فعلم الله شامل لكل شيء .

ودليل الكتابة : ما روى الترمذي في سننه أن النبي ﷺ قال : (إن أول ما خلق الله القلم) وضبطت (القلمُ) فقال له : اكتب ، قال : وما أكتب ؟ قال : اكتب ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة) وهو حديث صحيح .

وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال : (إن الله قدر مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات و الأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء)

وفي صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال (كان الله ولم يكن شيء معه) وفي رواية (قبله) وفي رواية (غيره)

(وكتب في الذكر كل شيء وكان عرشه على الماء) .

وقد اختلف أهل العلم : هل العرش مخلوق قبل القلم أم القلم مخلوق قبل العرش ؟ ! على قولين ، أظهرهما وهو قول الجمهور أن العرش مخلوق قبل القلم ويدل عليه : قول النبي ﷺ : (إن الله قدّر مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض وكان عرشه على الماء) .

فهذا يدل على أن العرش مخلوق قبل الكتابة .

وأما حديث : (إن أول ما خلق الله القلم ، قال له : اكتب . . . .) فعلى رواية النصب (لقلمَ) فالمعنى إن أول خلق الله ﷻ للقلم هو أن أمره بالكتابة ، كقولك : إن أول ما حضر زيد أمرته بكذا .

وعلى رواية الرفع (إن أول ما خلق الله القلمُ) فيقال : إن القلم أول خلق الله ﷻ المشاهد ، أو أول خلق الله ﷻ المرتبط بالأشياء المشاهدة القلم ، فإن القلم له ارتباط بالخلق بخلاف العرش .

ودليل المشيئة : قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾

ولله ﷻ المشيئة النافذة والعباد لهم مشيئة ولكن مشيئتهم غير مستقلة بل هي مشيئة تابعة لمشيئة الله تعالى فما شاء الله كان وما لم يشاء لم يكن :﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ سوره يّـــس:٨٢.

ودليل الخلق والإيجاد قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٍ ﴾ فكل شيء مخلوق مقدر مقضي من الله ﷻ ومن ذلك أفعال العباد كما سيذكرها المؤلف رحمه الله .

قال الشيخ – رحمة الله – (أراد ما العالم فاعلوه، ولو عصمهم لما خالفوه. . . ﴿ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾) : { الانبياء : ٢٣}.

فالقدر فعل الله ﷻ ولذا قال الإمام أحمد رحمه الله لما سئل عن القدر ؟ قال : القدر قدرة الرحمن أ . هــ . فالقدر فعل الله وفعله لا يسأل عنه سبحانه مع العلم أن أفعاله جارية بين العدل والفضل لا تخرج عنهما إلى الظلم تعالى عنه علواً كبيراً ، فمن اهتدى فبفضل الله ومن ضل فبعدله ﷻ .

والقدر هو سر الله تعالى وهو فعل الله تعالى الجاري بين عدله وفضله وهو سر الله في هذا الكون .

وعليه : فمن فعل فعلاً من المعاصي واحتج بالقدر وقال : قد قدّر الله عليَّ أن أكون فاسـقاً أو كافراً ! فيقال له : وما يدريك أن الله ﷻ قد قدّر عليك ذلك ؟ ولذا قال تعالى في الرد على الكفار :

﴿ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٍ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ ﴾.

سوره الأنعام:١٤٨.

ثم إن الله عز وجل قد مكنّك من الأعمال وأعطاك القدرة على فعلها ولم يكلفك من الأعمال إلا بما تطيق وقال سبحانه : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا ﴾ سوره البقرة:٢٨٦ ، وأضاف الله عز وجل إلى العباد أفعالهم خيرها وشرها ونسبها إليهم وجعلها من كسبهم ورتب عليها الثواب والعقاب فدل على أن أفعالهم مؤثرة وأن لها مشيئة لأن الله سبحانه قد نسب الخير إلى فاعله وأثابه عليه ونسب الشر إلى فاعله وعاقبه عليه ٠

فهذا دليل على أنهم ليسوا مجبورين على أفعالهم كما قال ذلك الضلال من الجبرية ٠

وأن أفعال العباد اظطرارية كحركة المرتعش – فهذا كما يرده الشرع ويبطله فإن ما يعمله الإنسان من نفسه ضرورة يبطل ذلك أيضاً فإن الإنسان يفرق بين أفعاله التي هي كالارتعاش وككثير من الأمور التي تحدث له اضطراراً ويفرق بين ما يفعله من الأفعال وأنهما عن مشيئته وإرادته ٠

فإذن فعل الله تعالى لا يُسأل عنه : ﴿ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ سوره الأنبياء:٢٣.

ومن فعل الله تعالى القدر وأفعال الله تعالى ليست بعبث ولا لعب وإنما هي جارية بين الفضل والعدل قال الشيخ – رحمه الله – : (قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ .

. . آمنت بالقدر خيره وشره وحلوه ومره) :

هذا الحديث إسناده ضعيفٌ رواه الحاكم في معرفة علوم الحديث ٠

قال الشيخ – رحمه الله – : (ومن دعاء النبي ﷺ الذي علمه الحسن بن علي) :روى الحديث الخمسة بإسناد صحيح

مسألة :

اعلم أن قضاء الله عز وجل لا شر فيه فلا ينسب الشر إلى فعل الله تعالى وأما مقضي الله تعالى ففيه الشر وفيه الخير .

ففعل الله عز وجل لا شر فيه ولذا في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال : (والشر ليس إليك) .

وأما مقضي الله : أي مفعول الله تعالى الذي وقع عليه فعل الله ففيه الشر وفيه الخير ، ولذا قال **النبي ﷺ في هذا الحديث (وقني شر ما قضيت) ٠**

وهذا هو الجمع بين هذين الحديثين. ويتضح هذا بالمثال الخارج عن فعل الله : فعندما يقيم السلطان القتل على مفسدٍ في الأرض كالزنديق ، فهذا الفعل من الحاكم خير ، وأما القتل بالنسبة لهذا الزنديق فهو شر ٠

وفي أفعال الله تعالى فعندما يوقع الله تعالى عقوبات عاجلة ببعض الأمم كقوم عاد وقوم ثمود . . . وما يوقعه الله ﷻ من عقوبات في الأمم الخالفة هل هذه العقوبات شر بالنسبة إلى فعل الله تعالى ؟

الجواب :

ليست بشر بل هي خير لما يترتب عليها من المصالح الكثيرة ولما يظهر فيها من صفات الله تعالى فهو خير بالنسبة إلى الله ٠

وأما بالنسبة إلى المقضي عليه شر فكانت بالنسبة إلى القضاء خير، والنسبة إلى المقضي شر ٠

قال الشيخ – رحمه الله – : (ولا نجعل قضاء الله وقدره حجة لنا في ترك أوامره . . ﴿ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾) : { النساء : ١٦٥ } ٠

ولو كان القدر حجة للناس على الله ﷻ لم يكن إرسال الرسل وبعثتهم وإنزال الكتب حجه لله تعالى على الناس لأنهم يحتجون بالقدر ٠

فدل على أنه لا حجة للعباد بقدر الله تعالى ٠

قال الشيخ – رحمه الله – : (ونعلم أن الله سبحانه ما أمر ونهى إلا المستطيع للفعل والترك . . . ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ ﴾) : {غافر: ١٧} **فجعله الله ﷻ كسباً للعباد ولهم فيه إرادة ومشيئة كما قال تعالى : ﴿ وما تشاءون إلا أن يشاء الله ﴾ فأثبت لهم مشيئة ٠**

وقد قال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ سوره الصافات:٩٦

وفي أفعال العباد للبخاري رحمه الله ورواه البهيقي وغيره أن النبي ﷺ قال: (إن الله صانع كل صانع وصنعته)

فكل صانع وصنعته مصنوعان لله ﷻ خلافاً لما يقوله القدرية من أن أفعال العباد مخلوقة لهم كما أن مشيئتهم مستقلة عن مشيئة الله تعالى فهي خلق للعباد وتعالى الله عن ذلك ولذا سُمُّوا مجوس هـذه الأمة ، لأنهم أثبتوا ربّين فالله ﷻ خلق كل شي سوى أفعال العباد – والعباد خالقون أفعالهم ؟!!

ولذا روى أبو داود وغيره أن النبي ﷺ قال : (القدرية مجوس هذه الأمة) وهو حديث حسن بشواهده .

فهم مجوس هذه الأمة كما أن المجوس اثبتوا خالقين فهم قد أثبتوا في هذا الباب خالقين ۰

وبضدهم قول الجبرية الذين يقولون : إن العباد مجبورون على أفعالهم ولا حيلة لهم ولا استطاعة لهم في الخروج عنها فأفعالهم كحركة المرتعش وكالريشة في الهواء ۰

والقدرية يقولون : مشيئة العباد مستقلة وهم خالقون لأفعالهم ۰

وأما أهل السنة والجماعة فقالوا : أن للعباد افعلاً تنسب إليهم يترتب عليها الثواب والعقاب ولهم إرادة ومشيئة تابعة لمشيئة الله تعالى ، ولكنهم هم وأفعالهم مخلوقون لله تعالى ۰

قال الشيخ – رحمه الله – : فصل (والإيمان قول باللسان، وعمل بالأركان. . . فجعل القول والعمل من الإيمان) :

الإيمان : لغة التصديق ۰

اصطلاحاً : عقد بالجنان ، وقول باللسان ، وعمل بالأركان " عمل بالجوارح " ۰

هذه هي أركان الإيمان التي لا يصح الإيمان إلا بها ۰

١- عقد بالجنان : وهو القلب وذلك بالتصديق والمعرفة والانقياد والمحبة والرضا ، فيصدق بما أخبر الله به وبما أخبر به رسوله ﷺ يصدق بذلك ويرضى به وينقاد ۰

٢-قول باللسان : كشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ۰

٣-عمل بالأركان : وهي الجوارح ۰

فمن شروط صحة الإيمان جنس العمل ولكن أفراد العمل ليست بشرط في صحة الإيمان وإنما هي شرط في كمال الإيمان إلا ما دلّ الدليل على أنه شرط في الصحة كالصلاة فإن الصلاة لا يصح الإيمان إلا بها كما هو أصح قولي العلماء ۰

هذا هو تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة – وعليه: فالعمل داخل في مسمّى الإيمان ۰

وخالف أهل السنة والجماعة : المرجئة – في هذا الباب .

والمرجئة قسمان :

أ – مرجئة الفقهاء .

ب – مرجئة المتكلمين .

وأما مرجئة الفقهاء فقد أخرجوا العمل عن مسمّى الإيمان .

فإذن الإيمان عندهم : قول باللسان ، وعقد بالجنان فقط وليس العمل من الإيمان ولكن قالوا : يترتب على المعاصي وترك الطاعات العقابُ .

وعليه : فيضر فعل المعصية كما ينفع فعل الطاعة، ولكنهم يقولون : إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص لأن الإيمان عندهم لا دخل للعمل فيه وإنما هو عقيدة القلب وقول اللسان .

وكذلك لا يجوّزون الاستثناء في الإيمان فلا يجوز لك أن تقول : " أنا مؤمن إن شاء الله " يعني أنا كامل الإيمان إن شاء الله فلا يجيزونه ولو لم يكن على سبيل الشك في أصل الإيمان لأن الاستثناء الذي يكون على سبيل الشك في أصل الإيمان هذا لا يجوز اتفاقاً وإنما الكلام إذا كان الاستثناء شكاً في كمال الإيمان بأن يقول : " أنا مؤمن بالله وملائكته. . . ، أما في مسألة كمال الإيمان فأنا كامل الإيمان إن شاء الله فمنع من ذلك مرجئة الفقهاء لأن الإيمان عندهم عقد بالجنان وقول باللسان وهذا لا يصح الاستثناء فيه .

ثم إنهم يسمون الإيمان الذي سمّاه الله ورسوله إيماناً يسمونه إيماناً مجازياً إذا لم يكن شرطاً في صحة إيمان العبد فيسمون إماطة الأذى عن الطريق إيماناً مجازاً ويسمون الصلاة – حيث لا يرون تكفير تارك الصلاة – فيسمونها إيماناً مجازياً وكذلك يسمون الكفر الأصغر يسمونه كفراً مجازياً وعليه : فالخلاف بين أهل السنة والجماعة وبين مرجئة الفقهاء الذين هم الأحناف خلاف حقيقي .

فالخلاف من جهة اللفظ بدعة لأن إخراج العمل عن مسمى الإيمان بدعة في اللفظ وبدعة في الحكم فكونهم يقولون العمل لا يدخل في مسمّى الإيمان هذا بدعة ويخالف ما دلت علية النصوص الشرعية المتكاثرة .

وكذلك ما يترتب على هذا القول من خلاف أهل السنة والجماعة كذلك فليس الخلاف لفظياً بل هو خلاف حقيقي ويترتب عليه مسائل أخرى كما تقدم .

أما مرجئة المتكلمين : فالخلاف بينهم وبين أهل السنة والجماعة أعظم لأنهم يخرجون العمل عن مسمّى الإيمان ويقولون : إن المعاصي لا تضر كما لا تنفع طاعة الكافر فكذلك معصية المؤمن لا تضره – فهؤلاء مرجئة المتكلمين ، فلا يرتبون العقاب على المؤمنين بل يرون أن المؤمنين لا يعاقبون على معاصيهم فهذا هو الفرق بينهم وبين مرجئة الفقهاء فإن مرجئة الفقهاء فإنهم يرتبون العقاب على المعاصي وهؤلاء لا يرتبون العقاب على المعاصي ويرون أن المؤمنين لا يعاقبون وأن معاصيهم لا تضرهم عند الله ﷻ .

أما الجهمية فقالوا : الإيمان هو المعرفة .

وعليه : فمن عرف الله ﷻ وإن لم يقر بدينه و لم يثبت الإسلام فهو مؤمن ويلزم عليه : إيمان إبليس وإيمان فرعون وغيرهم من أعداء الرسل .

وأما الكرَّامية : فقالوا الإيمان هو قول اللسان .

وعليه : فمن قال بلسانه وإن لم يصدق بقلبه فهو مؤمن ، وعليه : فالمنافق مؤمن فهذه هي أقوال المخالفين لأهل السنة والجماعة في باب الإيمان .

وأما الحديث الذي ذكره المؤلف فهو حديث صحيح متفق عليه .

وفيه : أن الإيمان شعب " يعني خصال " أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله فجعل قول اللسان من الإيمان ، " وأدناها إماطة الأذى عن الطريق" فجعل هذا العمل داخلاً في مسمى الإيمان .

كما سمّى الله ﷻ الصلاة إيماناً فقال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ ﴾ سوره البقرة:١٤٣ أي صلاتكم .

وقال النبي ﷺ – كما في البخاري – : (وآمركم بأربع آمركم بالإيمان ثم ذكر أربعاً وذكر منها إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وإعطاء الخمس من المغنم . . .) .

إلى غير ذلك من الأدلة المتواترة عن النبي ﷺ التي منها إدخال العمل في مسمّى الإيمان .

قال الشيخ – رحمه الله – : (وقال تعالى : ﴿ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا ﴾ {التوبة : ١٢٤}. . . . فجعله متفاضلاً) :

الحديث الذي ذكره متفق عليه .

وهذه الأدلة دليل على ما ذهب إلية أهل السنة والجماعة من تفاضل الإيمان فالإيمان يتفاضل فالناس ليسوا على درجة واحدة في الإيمان فبعضهم أعظم إيماناً وأكمل إيماناً من بعض – ولذا قال النبي ﷺ : (أكمل الناس إيماناً أحسنهم أخلاقاً) .

فالناس يتفاضلون في إيمانهم ويتفاوتون فليسوا على درجة واحدة ، فمنهم : من ليس في قلبه إلا مثقال ذرة من إيمان " وهي النملة الصغيرة " ومنهم من في قلبه مثقال بُرَّه ومنهم من في قلبه مثقال خردلة ، ومنهم : من يبلغ إيمانه مبلغاً عظيماً .

وعليه : فالإيمان يزيد وينقص كما صرحت الأدلة بزيادتة في قوله تعالى : ﴿ فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ {التوبة : ١٢٤} وقال : ﴿ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا ﴾ سوره الفتح:٤

وقال : ﴿ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا ﴾ سوره المدثر:٣١ . . . إلى غير ذلك من الآيات .

ومن لازم الزيادة النقص فإن النقص يقابل الزيادة كما أنه أيضاً يدل عليه الحديث فإن الحديث المتفق عليه يدل على أن الإيمان ينقص وأن منه ما يكون بمقدار الذرة أو الخردلة أو البرّه .

فالإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، فبقدر طاعاتك وبقدر إحسانك وبرك واجتنابك للمعاصي وبقدر ما يكون عندك من العلوم ومن التصديق بالأخبار يزداد إيمانك وبقدر ما ينقص من ذلك ينقص الإيمان فليس الراسخ في العلم الذي سمع علوماً كثيرة وأخباراً كثيرة عن النبي ﷺ وقابلها بالتصديق ليس كالعامي الذي لم يبلغه ما بلغ هذا العالم فصدقه .

فلذا قال تعالى: ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ ﴾ سوره المدثر:٣٠ في خزنة جهنم وهذا خبر عن مسألة من مسائل اليوم الآخر وأن على النار تسعة عشر من ملائكة الله تعالى قال: : ﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا ﴾ . سوره المدثر:٣١

فسماع المؤمن أن على النار تسعة عشر وإيمانه وتصديقه بذلك يزيد به رصيده الإيماني .

وكذلك الأعمال الصالحة فرضها ونفلها واجتناب ما نهى الله ﷻ عنه محرمه ومكروهه كل ذلك يزيد في إيمان العبد ، وضد ذلك ومقابلة ينقص في إيمانه .

قال الشيخ – رحمه الله – : (فصلٌ : ويجب الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ وصح به النقل عنه. . . ولم نطلع على حقيقة معناه) :

ذكر المؤلف هنا قاعدة أهل السنة والجماعة في " السمعيات " أو " النقل " فهما مترادفان في هذا الباب : وهي ما ورد به السمع يعني من الكتاب والسنة .

فما ورد في كتاب الله ﷻ وما صح عن النبي ﷺ من الأحاديث فهو سمعي نقلي .

وقد يكون سمعياً نقلياً عقلياً، فليس كل ما ورد في الكتاب والسنة راجعاً إلى إيمان المكلف بالغيب بل منه ما يُستدل عليه بالأدلة العقلية كما في الإيمان بالبعث والنبوات والإيمان بوجود الله ﷻ وألوهيته. . . إلى غير ذلك .

كثير من الناس يعتقد أن ما ورد في الكتاب والسنة مما هو سمعي نقلي فإنه ليس بعقلي ، وأنه ليس في الشرع أدلة عقلية وأن الشرع لا يخاطب العقل وإنما يخاطب الوجدان ويخاطب الروحانية في الإنسان .

وهذا خطأ شنيع ، بل الشرع كما يخاطب إيمان المكلف بالغيب فكذلك يخاطب عقله ، وهذا أمر معروف في الكتاب والسنة .

ومن الأدلة السمعية ما ليس بعقلي يعني: ليس مما يُدرك بالعقل، فالعقول لا تدركه لكنها لا تنكره ، فليس في الشرع ما ينكره العقل الصحيح السليم فلا يمكن أن يعارض العقلُ السليم الشرع الصحيح فالشرع الصحيح والعقل الصريح متوافقان ، الأول شرع الله ﷻ والثاني خلقه فالعقل خَلْقُ الله والدين شرع الله ولا يخالف شرعُه خلقَه .

إذن : لا يمكن أن يكون هناك تضاد أو تناقض بين صريح العقل و بين صحيح النقل ، فإما أن يكون العقل ليس بصريح لكن صاحبه يدَّعي أنه من العقليات ، وإما أن يكون النقل أو السمع ليس بصحيح بأن يكون الحديث ضعيفاً لا يصح عن النبي ﷺ .

وموقف المؤمن من الأدلة السمعية التي لا يدركها عقله : أنه يجب عليه التسليم والإيمان وهذا هو الإيمان بالغيب الذي ذكره الله ﷻ في صدر سورة البقرة : ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ﴾ .

ولذا قال المؤلف هنا : (ويجب الإيمان. . . . فيما شاهدناه) وأدركناه (أو غاب عنا. . . . . حقيقة معناه) .

إذن : هذه قاعدة أهل السنة والجماعة في باب الغيبيات فنؤمن بكل ما جاء في الكتاب والسنة سواء أدركناه بعقولنا

أم لم ندركه .

قال الشيخ – رحمه الله – : (مثل حديث الإسراء والمعراج وكان يقظة لا مناماً فإن قريشاً أنكرته وأكبرته و لم تنكر المنامات) :

الإسراء في الأصل : هو السير ليلاً ، والمعراج : مِفْعال من العروج والصعود .

والإسراء : هو ما كان من السير بالنبي ﷺ يقظة من البيت الحرام إلى البيت المقَّدس ، وأكَّد الله ﷻ ذلك بأنه كان بليل بقوله : ﴿ **سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا** ﴾ فقوله : ﴿ ليلاً ﴾ : من باب التأكيد .

وقد جاءت السنة بتفاصيل الإسراء ، وقد أورد ابن كثير أحاديث كثيرة في تفسير هذه الآية ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ ﴾ وأما المعراج : فهو الصعود والرقي بالنبي ﷺ إلى السماء السابعة إلى سدرة المنتهى إلى الجنة فدخل الجنة ﷺ ورأى النار ﷺ – كما دلت عليه الأحاديث الواردة في هذا الباب .

وكلاهما كان النبي ﷺ بروحه وببدنه يقظةً لا مناماً ، يدل على ذلك قوله سبحانه : ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ ﴾ .

قوله : ﴿ بعبده ﴾ يشمل روحه وجسده فدل على أنه بروحه وبجسده وأنه ليس بمجرد رؤيا رآها ﷺ في المنام .

ولقوله تعالى : ﴿ **وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ** ﴾ سوره الإسراء:٦٠

﴿ **إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١** ﴾. سوره الإسراء:١

فقوله ﴿ إلا فتنة للناس ﴾ يدل على أنها كانت يقظة لا مناماً لأن الناس لا يُفتنون بمن يخبر أنه رأى كذا وكذا في المنام وإن عَظُم فلو أن النبي ﷺ قال لهم: إن ذلك في المنام وأني قد أُسري بي إلى البيت المقدس

في المنام لما أنكروا ذلك ولما تعجبوا منه لأن هذا أمر مشهور معروف فلا ينكر على صاحبه ، فدل ذلك على أنه كان يقظة لا مناماً ، ولأن الله ﷻ قال في المعراج : ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾

النجم: ١٧

والبصر من البدن وهذا يدل على أنه لم يكن مناماً لأن النائم لا يقال : إنه قد رأى ببصره فالرؤية في المنام رؤية قلبية وليست برؤية بصرية .

ولذا فقد قال مَن يُعتد به مِن أهل السنة والجماعة : إن الإسراء بالنبي ﷺ والمعراج به كانا يقظة لا مناماً ، فقد كان بروحه وبجسده ﷺ .

قال الشيخ – رحمه الله – : (ومن ذلك أن ملك الموت لما جاء إلى موسى عليه السلام ليقبض روحه لطمه ففقأ عينه فرجع إلى ربه فرد عليه عينه) :

قصة موسى عليه السلام مع ملك الموت متفقٌ عليها في الصحيحين : (فقد أرسل الله ﷻ ملك الموت إلى موسى ليقبض روحه فصكّه – وفي رواية : فضرب عين ملك الموت ففقأها – فرجع إلى ربه فرد عليه عينه ثم أمره أن يرجع إلى موسى عليه الصلاة والسلام وأن يأمره أن يضع يده على متن ثور وله بعدد ذلك الشعر سنين ، فقال عليه الصلاة والسلام : ثم ما بعد ذلك ؟ فقال : الموت ، قال عليه الصلاة والسلام : فالآن) .

وقد أنكره بعض المبتدعة ولذا أورده الإمام الموفق رحمه الله في " اللمعة " وكذا غيره من أهل السنة فقد أورده غير واحد من أهل السنة والجماعة لإنكار المبتدعة له ، ولا زال المبتدعة ينكرون هذا الحديث ، وهو متفق عليه

فقد ثبت في الصحيحين الذين تلقاهما أهل الإسلام من أهل العلم وأهل الإيمان بالقبول وهو في أصح كتابين بعد

كتاب الله ﷻ : كتاب البخاري وكتاب مسلم .

ولا نكارة في هذا الحديث فإن موسى عليه الصلاة والسلام ضربه بمقتضى الطبيعة ولم يكن قد عرفه كما أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام قد أكرم الملائكة بالطعام والملائكة لا يأكلون فقد خفي على الخليل عليه الصلاة والسلام أن هؤلاء ملائكة وكذلك خفي على لوط عليه الصلاة والسلام أن أولئك الذين تصوروا على صورة مردان حسان – أنهم من ملائكة الله عليهم الصلاة والسلام .

فقد جهل موسى عليه الصلاة والسلام ذلك، أو كان ذلك منه حدة وغضباً عليه الصلاة والسلام فالمقصود من ذلك أن هذا لا نكارة فيه فقد تصور له ملك الموت على صورة إنسان ودخل عليه داره وأراد أن يقبض روحه فلطمه موسى علية الصلاة والسلام ، فلما علم أنه ملك من ملائكة الله عز وجل حيث رجع إلى موسى وقد رد الله عليه عينه وأخبره أن الله قد أرسله بذلك وأن له من العمر إن شاء بقدر ما تحت يده من شعر الثور – فلما علم أنه ملك وأن الموت آتيه ولا بد وإن طال عمره اختار الموت الآن .

وقال بعض أهل العلم : إن الأنبياء يخيرون بين قبض أرواحهم وبين إطالة أعمارهم ، فلم يكن فعل ملك الموت على هذه الطريقة المعتادة فأدى هذا إلى غضب موسى عليه السلام وحدته .

لكن الذي يتبين ويترجح هو الأول ، فإن هذا لا يخلو من نظر .

قال الشيخ – رحمه الله – : (ومن ذلك اشراط الساعة، مثل خروج الدجال، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام فيقتله ، وخروج يأجوج ومأجوج وخروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها) :

أشراط الساعة : هي علاماتها التي تؤذن بقرب قيام الساعة .

وقد ذكر الشيخ رحمه الله بعض أشراطها : فذكر من ذلك : " خروج الدجَّال " ، والدجَّال : صيغة مبالغة من الدجْل: وهو الكذب وذلك لأنه قد بلغ من الكذب غايته فقد ادعى الربوبية .. إلى غير ذلك مما هو عليه من الدجْل

وذكر من علامات الساعة أيضاً: " نزول عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام فيقتلة " أي فيقتل الدجال ، قال تعالى : ﴿ **وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا** ﴿١٥٩﴾ ﴾ سوره النساء: ١٥٩

عليه الصلاة والسلام ، وذلك عند نزوله في آخر الزمان .

وقال ﷺ كما في الصحيحين: " ليترلن عيسى بن مريم حكماً عدلاً . . . "

ومن ذلك أيضاً : " خروج يأجوج ومأجوج " قال تعالى :﴿ **حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ** ﴿٩٦﴾ ﴾ سوره الأنبياء : ٩٦ .

وذكر أيضاً : " الدابة " قال تعالى : ﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ سوره النمل :٨٢ .

وذكر منها : " طلوع الشمس من مغربها " ، في الصحيحين أن النبي ﷺ قال : " لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت فرآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين (لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً) .

وهذا شيء من أشراط الساعة ، وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال : " لا تقوم الساعة حتى تكون عشر آيات – فذكر ﷺ : الدخان ، والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم ، ويأجوج ومأجوج ، وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف في جزيرة العرب ، وآخر ذلك : نار تخرج من اليمن تحشر الناس إلى محشرهم " .

وتفاصيل هذه الأشراط مذكورة في السنة النبوية، وقد تقدم بيانها في شرح السفارينية وأظن أن الإطالة في ذلك غير لائقة بهذا المختصر .

قال الشيخ – رحمه الله – : (وأشباه ذلك مما صح به النقل) :

فكل ما صح به النقل عن النبي ﷺ فإنا نؤمن به كما ورد، هذه هي حِلْية عباد الله ﷻ المؤمنين فإنهم يؤمنون بما أخبر به النبي ﷺ من أمور الغيب ، سواء أدركتها عقولهم أم لم تدركها وقد تقدم أن العقول لا تستحيل ما جاء في الشرع ولا تنكره لكنها تحار فيه ، فالعقل لا يناقض الشرع ولا ينكر ولا يستحيل ما ورد في الشرع .

أما أن يكون العقل لا يبلغ ذلك ولا يدركه ويحار فيه فإن ذلك أمر معلوم ، فالعقل يحار في صفات الله ﷻ ويعجز عن إدراك كنهها وحقيقتها لكن العقل يدل عليها ويدل على إثباتها .

فالمقصود من ذلك أن الواجب على المؤمن أن يؤمن بالغيب الذي أخبر به النبي ﷺ ، وقد ذكر المؤلف شيئاً من ذلك ويأتي أيضاً ذكر مسائل من الإيمان بالغيب .

قال الشيخ – رحمه الله – : (وعذاب القبر ونعيمه حق، وقد استعاذ النبي ﷺ منه وأمر به في كل صلاة وفتنة القبر حق وسؤال منكر ونكير حق) :

بيَّن الشيخ الموفق – رحمه الله – هنا عقيدة أهل السنة والجماعة في عذاب القبر وأن عذاب القبر ونعيمه حق، وهذا هو إجماع أهل السنة والجماعة .

وقال تعالى :﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ سوره الطور:٤٧ .

قال تعالى :﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ سوره غافر: ٤٦ .

أي : دون عذاب الآخرة ، فالإشارة إلى عذاب الآخرة فيشمل العذاب في الدنيا و يشمل العذاب في البرزخ .

وقال تعالى : ﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ سوره المؤمنون: ١٠٠ .

فالبرزخ : هو ما يكون قبل البعث وبعد الموت .

والأحاديث عن النبي ﷺ متواترة في إثبات عذاب القبر :

ففي الصحيحين أن النبي ﷺ قال لما قالت عجوز من عجائز يهود : إن الناس يعذبون في قبورهم – قال : " صدقتِ، يعذبون عذاباً تسمعه البهائم " .

وقال النبي ﷺ " إن الميت إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قَرْع نعالهم فيأتيه ملكان فيسألانه. . . " الحديث ، وفيه فتنة القبر في قوله : " فيأتيه ملكان فيسألانه " .

" الفتنه " هي سؤال الملكين وهما منكر ونكير، وقد ثبتت تسميتهما في حديث رواه الترمذي بإسناد : صحيح :

" وأنهما ملكان أسودان أزرقان أحدهما منكر والآخر نكير " ثم يكون العذاب أو النعيم .

قال تعالى :﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ سوره ابراهيم:٢٧ .

ففي الصحيحين : أنها نزلت في عذاب القبر .

إذن : عذاب القبر ونعيمه وفتنة القبر مما أجمع عليه أهل السنة والجماعة ودلت عليه الأدلة المتواترة عن النبي ﷺ

وهو عام لكل المكلفين جنِّهم و انسهم ، مؤمنهم وكافرهم ، ولذا روى الإمام أحمد في مسنده بإسناد صحيح وهو ثابت أيضاً في سنن أبي داود : " إن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة . . . . " الحديث وفيه : سؤال الملكين .

وعذاب القبر ثابت على الروح والبدن جميعاً ، فكما هو للروح فهو للبدن كما يدل على ذلك ظاهر النصوص وقد أجمع أهل السنة والجماعة على هذا ، فظاهر النصوص أن العذاب يكون على البدن كما هو على الروح ولذا يقال له – كما في سنن الترمذي : " نم نومة العروس " .

وفي حديث البراء في مسند أحمد وسنن أبي داود : " فينادي منادٍ من السماء : أن أفرشوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة فيأتيه من رَوْحها وريحها " وفي الكافر : " ينادي مناد من السماء : أن كذب عبدي فأفرشوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها " .

فإذن : صريح الأدلة أن العذاب يكون للروح والبدن جميعاً .

والروح لها تعلقات مع البدن (أي أطوار) وهي خمسة :

الطور الأول : تعلقها بالجنين .

الطور الثاني : تعلقها به بعد ولادته يقظةً .

الطور الثالث : تعلقها به بعد ولادته مناماً .

الطور الرابع : تعلقها به في القبر .

الطور الخامس : تعلقها به في الجنة أو في النار .

ففي كل طور يكون للروح تعلق معين بالبدن ، فليس تعلقها في رحم الأم كتعلقها في الحياة بعد خروجه من رحمها وليس تعلقها في اليقظة كتعلقها في المنام ، وليس تعلقها بالبدن في القبر كتعلقها قبل ذلك ، وليس تعلقها في الجنة أوفي النار كتعلقها قبل ذلك ، فلو عذب إنسان بإحراق نار لخرجت روحه ولا يمكن أن تبقى الروح مع ذلك العذاب الشديد المستمر إلا وتخرج ، لكنها في النار ليس الأمر كذلك .

وهكذا أيضاً الفارق بين تعلقها بالبدن في القبر وبين تعلقها به في الجنة أو في النار ، وهكذا أيضاً هناك فارق بين اليقظة والمنام .

ومعلوم أن الموت ليس فناءً للروح ، وإنما حقيقته : أن تفارق الروحُ البدن، فيكون لها نوع اتصال سوى الاتصال المتقدم في الحياة الذي هو امتزاج الروح والبدن على هذا الامتزاج المعروف ، ولذا فإن عيني الميت تتبعان الروح ولذا يغمض – كما ثبت في السنة – فإنها تخرج لا أنها تفنى داخل بدنه بل تخرج وتفارق هذا البدن .

فالحاصل أن أهل السنة والجماعة قد أجمعوا – كما دل على ذلك ظاهر نصوص كثيرة وصريح نصوص أخرى – أن العذاب على الروح والبدن جميعاً .

وهنا قال الشيخ – رحمه الله – : (وقد استعاذ النبي ﷺ منه وأمر به في كل صلاة) :

وهذا في الحديث المشهور الذي رواه مسلم وغيره والذي فيه : أن النبي ﷺ : (كان يتعوَّذ من أربع – ومنها: عذاب القبر) .

قال الشيخ – رحمه الله – : (والبعث بعد الموت حق وذلك حين ينفخ إسرافيل عليه السلام في الصور قال تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ ﴾):{ يس :٥١}.

البعث : هو إحياء الموتى يوم القيامة للجزاء والحساب .

والبعث حق وهو مما علم من الإسلام بالضرورة فمنكره كافر بالله .

قال تعالى : ﴿ **زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾** ﴾ سوره التغابن:٧ .

وقال : ﴿ **وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾** ﴾ سوره النحل:٣٨.

وقال : ﴿ **وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾** ﴾ يس:٧٩

والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة، فالإيمان بالبعث ركن من أركان الإيمان فإن من أركان الإيمان الإيمان باليوم الآخر .

قوله : " وذلك حين ينفخ إسرافيل عليه السلام في الصور " : الصور : هو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل عليه الصلاة والسلام ، وله فيه نفختان :

النفخة الأولى : نفخة الفزع والصعق .

والنفخة الثانية : نفخه البعث والنشور •

قال تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ سوره الزمر: ٦٨ .

فالنفخة الأولى يفزع لها الناس ثم يصعقون ، ثم تكون النفخة الأخرى فينشرون ويبعثون ، وبين النفختين أربعون لا يُدرى أربعون سنة أم أربعون شهراً أم أربعون يوماً •

ففي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : (بين النفختين أربعون) فقيل لأبي هريرة : أربعون سنة ؟ فقال : أبيتُ ، فقيل له : أربعون شهراً ؟ فقال : أبيتُ ، فقيل له : أربعون يوماً ؟ فقال : أبيتُ ، يعني ليس هناك عن النبي ﷺ شيء فأجزم به (ثم يترل من السماء ماء فتكون منه أجساد الناس) •

فينبت الله ﷻ الأجساد بهذا الماء الذي يترل من السماء بين النفختين ، فإن ابن آدم لا يفنى كله وإنما يبقى منه عَجْب الذنب وهو أصل الصلب ، كما قال ﷺ في الصحيحين : (كل ابن آدم يفنى إلا عجبَ الذنب منه يخلق ومنه يركب) فيبقى هذا العجب كأنه بذرة في الأرض فيترل هذا الماء من السماء الذي يشبه ماء الرجال فتنبت منه أجساد الناس فإذا نفخ في الصور النفخة الثانية نشر هؤلاء الذين نبتت أجسادهم فينشر الناس ويحشرون إلى الله ﷻ

قال الشيخ – رحمه الله – (ويحشر الناس يوم القيامة ••وتنشر الدواوين (. . . ويصلى سعيرا){الانشقاق:٧-١٢}

الدواوين : هي الصحف التي بأيدي الملائكة تنشر وتبث كما قال تعالى : ﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ﴾ { الاسراء : ٤}

فيعطى كل إنسان كتابه منشوراً فيه أعماله خيرها وشرها فآخذ كتابه بيمينه واخذ كتابه بشماله من وراء ظهره ، قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ﴿١١﴾ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾ سوره الإنشقاق: ٧ – ١٢ .

ويحاسب الله ﷻ العباد ، فمنهم من يحاسب حساباً يسيراً ، ومنهم من يناقش الحساب ، فمن حوسب حساباً يسيراً فإنه فائز فالحساب اليسير مجرد العرض فتعرض أعماله على الله فيتجاوز ﷻ عنه – كما قالت عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ : ما الحساب اليسير ؟ فقال ﷺ : (أن ينظر الله ﷻ إلى الصحف فيتجاوز عنه) والحديث رواه الإمام أحمد بإسناد صحيح .

وأما من نوقش الحساب فإنه يهلك ، ولذا قال ﷺ كما في الصحيحين : (ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا عُذب) قالت عائشة : يا رسول الله أو ليس الله قد قال : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ ﴾ ؟ فقال ﷺ : (إنما ذلك العرض، وليس أحد يناقش الحساب إلا هلك) .

فالحساب اليسير هو العرض يعني : تعرض صحيفته على الله ﷻ فيقرره بما فيها ويتجاوز عنه ﷻ .

وأما الحساب الذي هو النقاش فإن الله لا يناقش أحداً وهو يريد أن يعفو عنه لا يناقش أحداً إلا ويهلكه ويعذبه .

قال الشيخ – رحمه الله – : (والميزان له كفتان ولسان. . . (. . . في جهنم خالدون
)) :

الميزان ميزان حقيقي له كفتان ، وقد أوَّله المعتزلة بالعدل ، وهذا تأويل باطل لأنه يخالف ظاهر الأدلة الشرعية ويخالف إجماع سلف الأمة .

والدليل على أن له كفتين ما ثبت في مسند أحمد وسنن الترمذي بإسناد صحيح في قصة صاحب البطاقة – وفيه (فتوضع البطاقة – وهي التي فيها شهادة أن لا إله إلا الله – في كفه وتوضع السجلاَّت في كفه) .

وهذا الميزان توزن به الأعمال كما قال تعالى : ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٠٢ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ۝١٠٣ ﴾. سوره المؤمنون:١٠٢ .

وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال : (كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم) الشاهد (ثقيلتان في الميزان) فكان العمل موزوناً .

ويوزن الرجال فيه كما قال ﷺ : (إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يساوي عند الله جناح بعوضة) ثم قال : (اقرؤوا ﴿ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً ﴾) { طه : ٤ } فهؤلاء الكفار وإن بلغوا ما بلغوا من كمال الأبدان فليس لهم يوم القيامة وزن .

وقال في ساقي ابن مسعود ﷺ (لهما في الميزان أثقل من جبل أحد) كما ثبت في مسند أحمد وغيره .

كما توزن به الصحف كما تقدم في حديث صاحب البطاقة فإن النبي ﷺ قال : (توضع البطاقة في كفه وتوضع السجلات في كفه) .

وعليه : فيوزن في الميزان الأعمال وأصحاب الأعمال وكتب الأعمال فكلها توزن في هذا الميزان الذي ينصب يوم القيامة .

قال الشيخ – رحمه الله – : (ولنبينا محمد ﷺ حوض... لم يظمأ بعدها أبداً) :

كما قال ﷺ في صحيح البخاري : (حوضي مسيرة شهر ، ماؤه أشد بياضاً من اللبن ، وريحه أطيب من المسك وآنيته كعدد نجوم السماء ، من شرب منه لم يظمأ بعده أبداً) .

وقال ﷺ كما في مسلم من حديث ثوبان : (أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل يَغُتُّ (يصب) فيه ميزابان يمدانه من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من فضه) فيُمد من نهر الكوثر بميزابين أحدهما من ذهب والآخر من فضة .

والحوض في اللغة : مجتمع الماء ، ويكون في عرصات القيامة ، ولكل نبي حوض فليس بخاص بالنبي ﷺ كما ورد في سنن الترمذي وهو حديث حسن أن النبي ﷺ قال : (إن لكل نبي حوضاً وإنهم يتباهون أيهم أكثر وارداً وإني لأرجو أن أكون أكثرهم وارداً) فلكل نبي حوض يرد إليه الناس في عَرَصات القيامة ولنبينا ﷺ أشرف ذلك وأعظمه .

ويزاد عنه أقوام قد أحدثوا بعد النبي ﷺ كما في الصحيحين أن النبي ﷺ في قوم (فيُختَلجون – يعني يُنتزعون ويُدفعون عنه – فأقول : يا رب يا رب أصحابي أصحابي ، فيقال لي : (إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك) وفي رواية للبخاري إنهم لم يزالوا يرجعون بعدك القهقرى) وممن يذاد عنه أهل البدع

الذين قد أنكروا هذا الحوض وكذبوا به كالمعتزلة – كما في سنن أبي داود أن بعض أصحاب النبي ﷺ سأله عبد الله بن زياد عنه : هل سمعت فيه من النبي ﷺ شيئاً ؟ فقال : (نعم لا مرة ولا مرتين ولا ثلاثاً ولا أربعاً ولا خمساً ، فمن كذَّب به فلا سقاه الله منه) .

إذن : يذاد عنه أقوام قد أحدثوا بعد النبي ﷺ فارتدوا على أدبارهم وكفروا بالله ﷻ ، وممن يذاد عنه أيضاً أهل البدع سيما منكري الحوض كالمعتزلة كما قال الصحابي المتقدم : فمن كذب به فلا سقاه الله منه .

قال الشيخ – رحمه الله – : (والصراط حق، تجوزه الأبرار، ويزل عنه الفجار) :

الصراط في اللغة : الطريق ، والمراد به هنا : جسر ينصب على متن جهنم فيجوزه الناس بقدر أعمالهم فمنهم الموبق بعمله ومنهم المخردل ثم ينجو – هذا في المؤمنين .

وأما غير المؤمنين فإنهم يُرمى بهم عند مرورهم على جهنم – والعياذ بالله – .

فقد ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال : (يضرب جسر جهنم فأكون أول من يجوز ، ودعاء الناس يومئذ : اللهم سلِّم سلمٍّ ، وفيه كلاليب مثل شوك السعدان ، فيجوزه الناس فمنهم الموبق بعمله ، ومنهم المخردل ثم ينجو) المخردل : المخدوش .

وفي مستدرك الحاكم عن ابن مسعود ﷺ أنه قال – وسنده صحيح (فيجوزه الناس على قدر أعمالهم فمنهم من يكون كانقضاض الكوكب ، ومنهم من يكون كالريح ، ومنهم من يكون كالطرف ، ومنهم من يكون كشد الرحل ، ومنهم من يهرول هرولة ، وهذا تجرّ يد وتعلق يد ، وتجـرّ رجل وتعلق رجل) .

وبه فسر قوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ سوره مريم: ٧١ – ٧٢ .

وهذا الصراط أحد من السيف وأدق من الشعر فلا ينجو منه أحد إلا بحول الله تعالى .

فقد ثبت ذلك في مسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : (بلغني أن الصراط أحد من السيف وأدق من الشعر)

وفي المستدركّ أن النبي ﷺ قال : (هو كحد الموسى) أي كحد الموس .

قال الشيخ – رحمه الله – : (ويشفع نبينا صلى الله عليه وسلم فيمن دخل النار ... والملائكة شفاعات) :

الشفاعة : هي ما يسمى عندنا بالوساطة فهي طلب الخير للغير .

والشفاعة حق ، وللنبي ﷺ منها دون سائر الشفاعات : له الشفاعة العظمى وهي المقام المحمود .

وذلك بأن يشفع عليه الصلاة والسلام لأهل الموقف أن يقضى بينهم فهي الشفاعة العظمى وهي المقام المحمود .

وثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال : (أنا سيد ولد آدم ولا فخر ...– الحديث– وفيه مسألة الناس للأنبياء أن يشفعوا عند الله تعالى أن يقضي بينهم حتى يأتوا إلى النبي ﷺ فيسجد تحت العرش ويقال له : يا محمد ارفع رأسك وسل تعطه ، واشفع تشفع) وكل نبي من الأنبياء يعتذر عن هذه الشفاعة حتى يشفع النبي ﷺ فهي الشفاعة العظمى .

وله عليه الصلاة والسلام شفاعة أخرى تختص به : وهي شفاعته عليه الصلاة والسلام لأهل الجنة أن يدخلوا الجنة فلا يفتح باب الجنة لأهلها إلا بشفاعة النبي ﷺ كما ثبت في الصحيحين أنه قال : (إن أهل الجنة حين تزلف لهم الجنة يأتون آدم ليستفتح لهم فلا يستفتح ، ثم يأتون إبراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم يأتون النبي ﷺ فيستفتح فيؤذن له) فهي شفاعة خاصة له عليه الصلاة والسلام .

– وأما بقيت الشفاعات فلا تختص به عليه الصلاة والسلام بل هي له ولغيره .

ومن تلك الشفاعات : الشفاعة لأهل الكبائر وقد قال النبي ﷺ كما في المسند وسنن الترمذي – وهو حديث صحيح : (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) .

وقد أنكر هذه الشفاعة المعتزلة والخوارج لأنهم يرون أن أهل الكبائر مخلدون في نار جهنم فأنكروا الشفاعة لأهل الكبائر .

وقد بيّن المؤلف هنا أن هذه الشفاعة ثابتة للنبي ﷺ لدفع ما يقوله هؤلاء المبتدعة ، وذكر أن قوماً يخرجون من النار بشفاعة النبي عليه الصلاة والسلام وقد احترقوا وهو ثابت في صحيح البخاري : (وأنه يخرج من النار قوم بشفاعة النبي ﷺ يسمون الجهنميين " نسبه إلى جهنم لأنهم قد احترقوا فيها ") .

فهذه الشفاعة ليست خاصة بالنبي ﷺ بل له ولغيره ولذ قال المؤلف : (ولسائر الأنبياء والمؤمنين والملائكة شفاعات) .

قال الشيخ – رحمه الله – : (قال تعالى ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ " .{الانبياء : ٢٨}

وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال : (قال الله تعالى : شفع الملائكة ، وشفع النبيون ، وشفع المؤمنون ، ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض الله ﷻ قبضة من النار فيخرج منها قوم لم يعملوا خيراً قط) .

ففيه إثبات الشفاعة للملائكة وللنبيين وللمؤمنين فهي ليست بمختصة بالنبي عليه الصلاة والسلام في هذا النوع وكذلك في الأنواع الأخرى وإنما يختص به ما ذكرناه وإن كان النبي ﷺ هو أكملهم شفاعة .

ففي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال : (إن لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته ، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة – إن شاء الله – من مات لا يشرك بالله شيئاً) .

فله عليه الصلاة والسلام أكمل الشفاعة وأتمها .

قال الشيخ – رحمه الله – : (ولا تنفع الكافر شفاعة الشافعين) :

كما نص الله تعالى على ذلك في كتابه الكريم : ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ سوره المدثر:٤٨ .

فالكفار لا تنفعهم شفاعة الشافعين ولا يحل لشافع أن يشفع لهم فإن الكفار يختل فيهم أحد شرطي الشفاعة وهو رضا الله ﷻ عن المشفوع له .

والكافر ليس بمرضي عند الله تعالى .

فالشفاعة المثبتة يشترط فيها شرطان :

الأول : أن تكون بعد إذن الله ﷻ للشافع .

الثاني : أن تكون بعد رضا الله ﷻ عن المشفوع له كما قال تعالى :﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾ . سوره النجم:٢٦

فيشترط إذن الله للشافع ورضاه على المشفوع .

ومن أنواع الشفاعة : شفاعته عليه الصلاة والسلام لأبي طالب أن يخفف عنه العذاب .

ففي الصحيحين أن العباس بن عبد المطلب ﷺ قال للنبي ﷺ : يا رسول الله هل نفعت أبا طالب بشيء فإنه كان يحوطك ويغضب لك ؟!

فقال النبي ﷺ : (هو في ضحضاح من نار) والضحضاح : هو ما يكون على سطح الأرض من الماء الذي يصل إلى نحو الكعبين (ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل) .

– ومن الشفاعات : الشفاعة لأهل الجنة في رفعة درجاتهم بأن يشفع النبي ﷺ وغيره من الشفعاء في أحد من أهل الجنة أن يرفع الله تعالى درجته وقد اتفق أهل السنة والجماعة على إثبات هذا النوع من أنواع الشفاعة .

– ومن الشفاعات : شفاعته عليه الصلاة والسلام لمن يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب أن يدخلها كذلك ، فقد شفع عليه الصلاة والسلام لعكاشة بن محصن فقال عليه الصلاة والسلام كما في الصحيحين : (اللهم اجعله منهم) والدعاء شفاعة .

وأصل ثبوت الشفاعة يدل على ذلك ، فالأصل أن يؤذن لهؤلاء من الأنبياء والصالحين من عباد الله ﷻ أن يشفعوا

وممن يراد بالشفاعة أن يدخل العبد الجنة بلا حساب ولا عذاب ، ومن ذلك أيضاً أن ترتفع درجته في الجنة – فهو داخل في عموم الشفاعة .

قال الشيخ – رحمه الله – : (والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان... وهم فيه مبلسون) :

الجنة والنار مخلوقتان بإجماع أهل السنة والجماعة وبدلالة الكتاب والسنة .

قال تعالى – في الجنة – : ﴿ أعدت للمتقين ﴾ وقال – في النار: ﴿ أعدت للكافرين ﴾

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ ﴾. سوره النجم:١٣ – ١٥.

وفي الصحيحين أن النبي ﷺ – لّما كسفت الشمس – قال : (وإني رأيت الجنة فتناولت عنقوداً ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا ، وإني أريت النار فلم أر منظراً كاليوم قط أفظع) .

وفي صحيح مسلم : (أن الله ﷻ لما خلق الجنة قال لجبريل : اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها ، وقال لّما خلق النار : اذهب إلى النار فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فبها) .

وقد أجمع أهل السنة على ذلك، وخالف فيه المعتزلة و الجهمية فقالوا : إن الجنة والنار لم تخلقا بعد ، قالوا : لأن خلقها الآن عبث !!

وهذا مخالف ومردود بالكتاب والسنة وإجماع السلف ، وفعل الله ﷻ متره عن العبث فإن ذلك لحكم عظيمة اطلع عليها العباد أولم يطلعوا عليها .

وإن من الحكم التي تنبني على خلق الجنة والنار : إن إعدادهما للعباد ومعرفة العباد أن الجنة والنار مخلوقتان أن في ذلك ترغيب لهم في الجنة وترهيب من النار فإن النفوس رغبتها فيما هو موجود أعظم مما لم يوجد بعد ، كما أن رهبتها مما هو موجود أعظم مما لم يوجد بعد .

ثم إن هذا أيضاً يدل على عظيم خلقها فإنها قدأعدت ولا تزال تعد والله ﷻ قادر على أن يخلقها بكلمة : (كن) ولكن هذا الإعداد الطويل يدل على عظمها ويدل على فضلها كما في خلق السماوات والأرض في ستة أيام – فلا يقول قائل : لِمَ لَمْ يخلقها الله بكلمة : (كن) ؟ فإن ذلك راجع إلى حكمة الله ﷻ .

– إن قيل :– وردت الأدلة على أن الجنة يغرس فيها ويبنى فيها كما في قول النبي ﷺ : (من بنى مسجداً لله بُني له بيت في الجنة) كما في الصحيحين ، وقال ﷺ : (من قال : سبحان الله وبحمدة غرست له نخلة في الجنة) فكيف يقال : إنها أعدت للمتقين ؟ !!

الجواب : إن كونها قد أعدت لا يعارض أنها لا تزال يحدث فيها ولا تزال تعد لعباد الله ، فهي وإن كانت مخلوقة ولكنها لا تزال يزاد فيها ويحدث فيها .

– والجنة لا تفنى بإجماع أهل السنة والجماعة والأدلة متواترة في ذلك وذلك مما علم من الدين بالضرورة ، قال الله تعالى : ﴿ أكلها دائم وظلها ﴾ وقال : ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ إلى غير ذلك من الآيات الدالة على خلود المؤمنين في الجنة .

وكذلك النار فقد أجمع أهل السنة والجماعة – كما حكى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله على القول بأن النار لا تفنى و أن أهلها خالدون فيها أبداً .

وما حكي عن بعض السلف في القول بفناء النار فإنه لا يصح فالآثار منها ما ليس بصحيح ومنها ما هو صحيح غير صريح ، ومنها : ما ورد عن الحسن البصري وعمر بن الخطاب ﷺ : (أن النار لو أقام فيها أهلها على قدر رمل عالج لكان لهم يوم يخرجون فيه) هذا الأثر عن عمر بن الخطاب

منقطع ، وأما كون الحسن وهو من السلف يقول ذلك فإنه ليس بصريح بالقول بأن النار تفنى وذلك لأن المراد به الموحدون بدليل قوله : (لكان لهم يوم يخرجون فيه) ومن يقول : إن النار تفنى ، يقول : تفنى بأهلها ولا يقول : إن أهلها يخرجون منها لأن ذلك مخالف لصريح القرآن في قوله تعالى : ﴿ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾.

وأما قوله تعالى : ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ سوره هود:١٠٧ ، فهذا من المتشابه الذي يجب أن يرد إلى المحكم .

فمن أهل العلم من قال : (إلا ما شاء ربك) من إقامتهم في الدنيا حيث إن الله تعالى لحلمه قد أمهلهم وإن كانوا مستحقين للخلود في النار مثل ذلك ولكن الله حليم تجري أفعاله ﷻ على حكمه فاستثنيت المدة التي في الدنيا حتى يقضي الله ﷻ قضاؤه فيهم في الآخرة .

ومن أهل العلم من قال : (إلا ما شاء ربك) إن (إلا) بمعنى (لكن) أي لكن ما شاء ربك فهذا راجع إلى مشيئة الله تعالى ومشيئة الله قد اقتضت أن يخلدوا فيها كما دلت عليه الآيات الأخرى فإن ذلك ليس مفروضاً على الله تعالى ولكن ذلك راجع إلى مشيئة وقد شاء الله تعالى أن يخلدوا فيها إلى غير ذلك من التأويلات – وهذه هي طريقة أهل السنة والجماعة في رد المتشابه إلى المحكم .

ويقال لهؤلاء من الموحدين من أهل السنة الذين قالوا بفناء النار تأولاً يقال لهم : قولنا في قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ ﴾ هو قولكم في قوله تعالى في أهل الجنة : ﴿ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾ سوره هود:١٠٨ ، فقولنا هو قولهم وجوابنا عن هذه الآية هو جوابنا عنها فإذن الجنة والنار لا تفنيان أبداً ولا تبيدان وهو إجماع أهل السنة والجماعة

قال الشيخ – رحمه الله – : (ويؤتى بالموت في صورة كبش أملح. . . . خلودا ولا موت) **وهذا الحديث متفق عليه**

والموت : هو مفارقة الحياة ، فيؤتى بالموت وليس بملك الموت ، فيؤتى بالموت نفسه على هيئة كبش أملح كما في الصحيحين : (يؤتى بالموت على هيئة كبش أملح ثم ينادي منادٍ : يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون فيقال : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون نعم ، هذا الموت ، ثم ينادي : منادٍ : يا أهل النار فيشرئبون وينظرون فيقال : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم هذا الموت فيذبح بين الجنة والنار ثم يقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت) .

قال الشيخ – رحمه الله – : ((فصل في مقام نبينا محمد ﷺ وصحابته الكرام) ومحمد ﷺ خاتم النبيين . . . وخطيبهم وصاحب شفاعتهم) :

قوله (ولا يدخل الجنة أمة إلا بعد دخول أمته) لقول النبي ﷺ كما في الصحيحين : (نحن الآخرون السابقون يوم القيامة. . .) الحديث .

" لواء الحمد " اللواء : هو الراية والحمد معروف وقد صح ذلك في سنن الترمذي أن النبي ﷺ قال : (أنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر ، وبيدي لواء الحمد . . .) والنبيون كلهم تحت لوائه عليه السلام كما صح هذا في سنن الترمذي .

" وهو إمام النبيين وخطيبهم " يوم القيامة كما ثبت ذلك في سنن الترمذي بسند جيد أن النبي ﷺ قال : (أنا إمام النبيين يوم القيامة وخطيبهم) .

قال الشيخ – رحمه الله – : (أمته خير الأمم ، وأصحابه خير أصحاب الأنبياء عليهم السلام) :

لقول النبي ﷺ : (خير الناس قرني . . .) فأصحابه هم خير الناس ويدخل في ذلك الأمم السالفة كما يدخل فيه أيضاً القرون التي بعد قرنه عليه السلام فخير الناس هم قرن النبي ﷺ .

قال الشيخ – رحمه الله – : (وأفضل أمته أبو بكر الصديق. . . ويبلغ ذلك النبي ﷺ ولا ينكره) :

وفي بعض النسخ (ثم عثمان ثم علي) وفي نسخة أخرى (ثم عثمان) فقط وهو الصواب من حيث الرواية فليس في الأثر (ثم علي) والأثر رواه البخاري وغيره وليس فيه ذكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

وأما قوله : (يبلغ ذلك النبي ﷺ فلا ينكره) فرواه الطبراني بإسناد صحيح .

فدلت هذه الرواية على أن أفضل الناس أبو بكر ثم عمر ثم عثمان حيث كان الصحابة يفضلون ويخيرون فيبلغ ذلك النبي ﷺ ولا ينكره ، ففيه اتفاق الصحابة وفيه أن ذلك إقرار من النبي ﷺ .

وكذلك اتفق الصحابة على فضيلة علي بن أبي طالب ﷺ بعد عثمان- وأجمع أهل السنة والجماعة على ذلك .

قال الشيخ – رحمه الله – : (وصحت الرواية عن علي أنه قال : خير هذه الأمة . . . على أفضل من أبي بكر) :

حديث أبي الدرداء رواه الإمام أحمد بسند ضعيف ، ولكن الحديث من حيث المعنى صحيح فإن أبا بكر خير الصحابة ، والصحابة هم أفضل الناس فما طلعت الشمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على أفضل من صحابة نبينا وأفضلهم أبو بكر رضي الله عنه .

قال الشيخ – رحمه الله – : (وهذا أحق خلق الله تعالى بالخلافة . . . (الخلافة من بعدي ثلاثون سنة) فكان آخرها خلا فه علي رضي الله عنه) :

وهو حديث صحيح رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي والترمذي وحسنه .

وكانت خلافة الأربعة " أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً ثلاثون سنة مع ما كان من خلافة الحسن بن علي الذي كمّل الثلاثين ولم يكن نالها من جهة الملك وإنما كان ذلك من جهة الخلافة فكان خليفة رضي الله عنه .

وقد قال فيه النبي ﷺ كما في الصحيحين: (إن ابني هذا سيد وإن الله سيصلح به بين طائفتين عظيمتين من المسلمين) .

فكان خليفة ستة أشهر ثم أصلح بين المؤمنين بالتنازل عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه .

قال الشيخ – رحمه الله – : (فصل : العشرة المبشرون بالجنة : ونشهد للعشرة بالجنة . . . . وأبو عبيده بن الجراح في الجنة) :

هؤلاء هم العشرة المبشرون بالجنة والحديث صحيح رواه أحمد وأبو داود والترمذي حسنه .

قال الشيخ – رحمه الله – : (وكل من شهد له النبي ﷺ بالجنة شهدنا له بها كقوله . . .) :

حديث : (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة) رواه أحمد والترمذي وهو حديث صحيح .

فنشهد للحسن والحسين بالجنة لأن النبي عليه الصلاة والسلام أخبر أنهما سيدا شباب أهل الجنة وحديث : (أن النبي عليه الصلاة والسلام أخبر ثابت بن قيس أنه من أهل الجنة) رواه البخاري قال له : (إنك لست من أهل النار ولكنك من أهل الجنة) .

قال الشيخ – رحمه الله – : (ولا نجزم لأحد من أهل القبلة بجنة ولا نار إلا من. . . . ونخاف على المسيء) :

فلا نشهد على أحد بعينه أنه من أهل الجنة إلا من شهد له النبي عليه الصلاة والسلام بذلك ولكننا نرجوا للمحسن ونخاف على المسيء. فإذن لا يشهد بالتعيين لأحد أنه من أهل الجنة إلا من شهد له النبي ﷺ كالعشرة .

وحكى شيخ الإسلام – رحمه الله – عن بعض أهل العلم : أن من اتفق أهل الإسلام على الثناء عليه فإنه يشهد له بالجنة وأصل هذا ثابت عن النبي ﷺ كما في سنن ابن ماجه أن النبي ﷺ قال : (يوشك أن تعرفوا أهل الجنة من أهل النار !!! قالوا كيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : بالثناء الحسن والثناء السيئ أنتم شهداء الله في الأرض) .

وأصله في الصحيح فهذا يدل على أن الثناء الحسن شهادة بالجنة فإذا اتفق المسلمون على الثناء الحسن جزم له بالجنة ولم يكن مجرد رجاء – وهذا كأحمد بن حنبل ومالك والشافعي وغيرهم من أئمة الإسلام .

قال الشيخ – رحمه الله – : (ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ، ولا نخرجه عن الإسلام بعمل) :

عقيدة أهل السنة والجماعة خلافاً للخوارج والمعتزلة : أنهم لا يكفرون أهل الكبائر كالزناة وشاربوا الخمر والسرّاق وغيرهم من العصاه ويرون أنهم داخلون تحت مشيئة الله إن شاء الله غفر لهم وإن شاء عذبهم ، كما في الصحيحين عن عبادة قال : (بايعنا رسول الله ﷺ ألاّ تسرقوا ولا تزنوا . . . إلى أن قال : " ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله فهو إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له) .

وقال تعالى : ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ فسمى القاتل أخاً لأولياء المقتول .

وكذلك إقامة الحدود على أهل الكبائر – هذا يدل على أنهم ليسوا بكفار فإقامة حد الزنا على الزاني البكر بأن يجلد – هذا ظاهر أنه ليس بكافر لأن الكافر يقتل : (من بدل دينه فاقتلوه) .

إلى غير ذلك من الأدلة المتكاثرة في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ التي تدل على عدم تكفير أهل الكبائر .

وأما الخوارج فإنهم يكفرون أهل الكبائر ويحكمون عليهم بالخلود في النار يوم القيامة .

والمعتزلة يقولون هم في الدنيا بمنزلة بين المنزلتين فليسوا بكفار وليسوا بمؤمنين وأما في الآخرة فهم خالدون مخلدون في نار جهنم .

ولا يدخل في كلام المؤلف مباني الإسلام العظام كالأركان الخمسة فإن من السلف من كفَّر بها فمنهم من كفّر بالصلاة ومنهم من كفّر بالزكاة ومنهم من كفّر بالصوم ومنهم من كفّر بالحج – والصحيح أنه لا يكفّر إلا بالصلاة كما هو مذهب الإمام أحمد وهو مذهب جمهور السلف للأدلة الدالة على ذلك .

قال الشيخ – رحمه الله – : (ونرى الحج والجهاد ماضيان مع كل إمام. . . والإيمان بالأقدار. رواه أبو داود) :

وهذا الحديث سنده ضعيف .

قال الشيخ – رحمه الله – : (ومن السنة تولي أصحاب النبي ﷺ ومحبتهم . . . ما بلغ مدّا احدهم ولا نصيفه) :

هذا الحديث متفق عليه .

قال الشيخ – رحمه الله – : (ومن السنة الترضي عن أزواج رسول الله. . . أحد خلفاء المسلمين رضي الله عنه) :

فأفضل زوجات النبي ﷺ خديجة وعائشة ولكلٍ منهما مزية وفضل فخديجة لها من الفضل ما ليس لعائشة في أول الإسلام من النصرة للنبي ﷺ ومؤازرته .

ولعائشة في آخر الإسلام ما ليس لخديجة من حفظ العلم ونحوه بل عائشة رضي الله عنها – كما نبّه على هذا الذهبي رحمه الله : ليس أحد أعلم منها من نساء الدنيا وكانت أحب نسائه إليه ولكل منهما مزية وفضل فلا تفضيل بينهما ولكنهما أفضل نساء النبي ﷺ .

" فمن قذفها بما برأها الله منه " فمن قذفها بما برأها الله منه في سورة النور فهو كافر بالله لأنه مكذب للقرآن .

ومعاوية خال المؤمنين ، ومعاوية بن أبي سفيان ﷺ – وهو من حسن إسلامه وهو كاتب الوحي للنبي ﷺ – كما هو مشهور ، وهو خال المؤمنين لأن النبي ﷺ كان زوجاً لأم حبيبة بنت أبي سفيان – وهذا على قول بعض أهل العلم من إطلاق الخؤوله على إخوان أمهات المؤمنين وليس هذا مشهوراً عند السلف وفيه نزاع عند أهل العلم كما قال ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .

والذي يترجح عدم إطلاق هذا اللفظ لأنه ليس مشهوراً عند السلف وليس أمومة بقية أمهات المؤمنين بمقيسة على الأمهات من الأرحام لما بينهما من الفارق – والله أعلم .

وهو أحد خلفاء المسلمين ﷺ فقد قام بالخلافة بعد الخلفاء الراشدين الأربعة لّما تنازل له بالخلافة سبط النبي ﷺ ، وما كان لسبط النبي عليه الصلاة والسلام أن يتنازل بالخلافة إلا لمن يرى أنه أهل لها وأن المصلحة في توليه للخلافة ، فقام بالخلافة كما يرضي الله ﷻ وجاهد في سبيل الله وأقام شرع الله في الأرض – كما هو معلوم في سيرته ﷺ. فله من الفضل ما لسائر أصحاب النبي ﷺ من الفضل وله أيضاً مزيد من الفضل فيما كان عليه في خلافته من إقامة حكم الله ﷻ وإقامة الجهاد في سبيل الله – وذكر المؤلف له هنا رد على الرافضة الذين يطعنون فيه ﷺ .

قال الشيخ – رحمه الله – : (ومن السنة السمع والطاعة. . . في معصية الله) :

قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ سوره النساء:٥٩ .

وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال : (على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحبَّ وكره ما لم يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة) .

وقال عبادة بن الصامت ﷺ – كما في الصحيحين – : (بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا ، وعسرنا ويسرنا ، وعلى أثرة علينا ، وأن لا ننازع الأمر أهله ، قال : إلا أن تروا كفراً بواحا عنكم فيه من الله برهان) .

" أن لا ننازع الأمر أهله " : أي لا نخرج على السلاطين وإن كانوا فجرة فساقاً ذوي جور .

فلا يستثنى من ذلك إلا أن يُرى من الحكام كفر بواح عندنا فيه من الله برهان وهو الكفر الأكبر الذي تدل الأدلة على أنه كفر .

قال الشيخ – رحمه الله – : (ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس. . . . وشق عصا المسلمين) :

وهذا باتفاق السلف الصالح. فمن ولي الخلافة إما باتفاق أهل الحل والعقد وهم أهل الرأي والمشورة في الأمة عليه وولي الخلافة بالاستخلاف بأن يستخلفه الإمام الذي قبله فيعهد إليه بالخلافة من بعده ، أو أن يأخذ الحكم بالقهر والغلبة " أي بالسيف " فتثبت إمامته لما في عدم الاعتراف بإمامته من المفاسد والشرور وإراقة الدماء .

وفي حالة الاستخلاف وحالة الغلبة والقهر لا يشترط ما يشترط في نصبه خليفة وإماماً من كونه قرشياً أو عدلاً أو نحو ذلك ، فمتى ما استخلف أو كذلك اتفق أهل الحل والعقد عليه مع أن الواجب أن لا ينصب إلا من اجتمعت فيه الشروط وكذلك من قهر المسلمين بسيفه فإنه يسلَّم له بالخلافة – فهذه طريق ثلاث لإثبات الإمامة :

١- الأول : أن يتفق أهل الحل والعقد على ذلك .

٢- الثاني : الاستخلاف .

٣- الثالث : أن ينال الحكم بالقهر والغلبة " يعني بالسيف " وإن لم يكن هناك رضاً من الناس .

قال الشيخ – رحمه الله – : (ومن السنة : هجران أهل البدع . . . أعاذنا الله منها) :

" وترك الجدال " : أي بلا علم وهو المراء ، وأما إذا كان الجدال بعلم لإظهار الحق فإن هذا ليس بمذموم .

وأما هجران أهل البدع فإن هذا مما عليه أهل السنة والجماعة من هجرانهم وعدم النظر في كتبهم وعدم سماع كلامهم .

ولذا قال النبي ﷺ كما في سنن أبي داود : (من سمع بالدجال فلينأ عنه فإن الرجل ليأتيه وهو يرى أنه مؤمن فيزيغ بسبب ما يسمعه من الشبهات) أو كما قال ، فهذا في الدجال مما يقذفه من الشبهات وكذلك المبتدعة .

إلا أن يكون من أهل العلم الذين يطلعون على كتب المبتدعة ويسمعون كلامهم ويبطل شبههم ويبين الأدلة المعارضة لما يستدلون به من الشرع – فهذا شيء آخر .

وأما قراءة كتبهم لغير هذا الغرض وسماع كلامهم – فهذا لا يجوز لأنه من أسباب زيغ القلوب فإن الإنسان لا يدري لعل قلبه يتقبل شيئاً من تلك الشبهات التي يذكرها هؤلاء المبتدعة .

(الكرامية) : نسبة إلى محمد بن كرّام وكان يميل إلى التشبيه فعنده غلو في الإثبات .

(الكلابية) : أتباع ابن كلاب وعنده تأويل قريب من تأويل الأشاعرة .

(السالمة) : فهم أتباع رجل يقال له : ابن سالم وكان عنده أيضاً غلو في التشبيه .

وهذا مما جعله الله ﷻ لأهل السنة والجماعة ، فإن أهل السنة والجماعة لا تجد لهم في سائر الأزمان إلا ما يتصف بالكتاب والسنة ، كأهل السنة والجماعة وكالسلف وكأهل الحديث إلى غير ذلك من الأسماء ، بخلاف أهل البدع فإن لهم أسماء يشهرون بها ويسمون أنفسهم بها وليست من أسماء السنة والكتاب في سائر الأزمان ومن ذلك ما ذكره المؤلف هنا فهؤلاء يسمون أنفسهم الرافضة وهؤلاء الجهميه وهؤلاء والخوارج وهؤلاء القدرية وهؤلاء المرجئة وهؤلاء المعتزلة وهؤلاء الكلابية . . . الخ .

ومن هذه الطوائف الأشاعره وكأن المؤلف لم يذكر الأشاعره لأن الإمام الأشعري – رحمه الله – ليس مقراً لهذه النسبية فإنه قد رجع إلى مذهب أهل السنة كما مشهور ، ومذهبهم مذهب مجموع من بعض المذاهب التي أشار إليها المؤلف كالمرجئة والكلابيه .

قال الشيخ – رحمه الله – : (وأما النسبة إلى إمام في فروع الدين . . . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً) ا . هـ .

(كالطوائف الأربع) وهو الأحناف والمالكية والشافعية والحنابلة .

فالخلاف في فروع الدين ليس بمذموم – ويريد بذلك من كان مقلداً يعجز عن النظر في الأدلة فإن له أن يقلد أحد الأئمة الأربعة .

وكذلك الانتساب إليهم لكونه درس في مدرستهم وتأصل بأصولهم وإن كان لم يأخذ ذلك تقليداً فلا بأس بذلك إن لم يكن فيه فرقه فإن كان فيه فرقة فإن الأصح عدم الانتساب .

(فإن الاختلاف في الفروع رحمة) فمن رحمه الله ما يكون من الاختلاف في الفروع لما في ذلك من رفع الحرج عن الأمة وذلك من حيث كون المسلم ليس بمطالب بأن يقول بما هو الصحيح في نفس الأمر بل أنت مطالب بالاجتهاد والنظر في الأدلة وقد يكون ما رجحته صواباً أو خطأ ، فإن أصبت فلك أجران وإن أخطأت فلك أجر واحد – فمن هذه الحقيقة وأن الإنسان ليس بمطالب بأن يوافق الحق بل مطالب بأن يجتهد وأن يتحرى ليصل إلى الحق وهو مأجور على ذلك وإن لم يصيب الحق – فمن هذه الجهة يكون الخلاف فيه رحمة .

وأما من حيث كثرة الخلاف فإنه يثير في كثير من الأحوال فرقة ولا شك أن عدم الخلاف أرحم ولكن وقوع الخلاف بين أهل العلم في المسائل هذا يدل على رفع الحرج من عدم إصابة الحق في نفس الأمر ، ولا يحمد الإنسان على نفس الخلاف وإنما على اجتهاد ونظره في الأدلة ، وإذا أجمع العلماء على قول فهو من الأدلة القاطعة كما تقدم في أصول الفقه .

والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين